الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك

كلية الاداب والتربية / الدراسات العليا

قسم علوم اللغة العربية وآدابها

الوطن و المواطن في الشعر الأردني المعاصر من 1920م إلى 1950م

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

إعداد الباحث

علي أحمد محمد القرنة

إشراف الدكتور

صالح عبد الله محمد قرقز

1438 هـ - 2017 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أولئك الذين أحيا بهم ومعهم ، إلى أمي وأبي ،وزوجتي وشقيقاتي ،وأشقائي .

الشكر و التقدير

إلى خالقي أتضرع شاكراً ممتنّاً، فسبحانك اللّهم راعياً للورى ، فأنت الأحقّ بـأن تحمد ، وأنت الأحقّ أن تشكر.

أتقدم بوافر الامتنان ، وجزيل الشّكر للدكتور ." صالح قرقز " مشرفاً علـى هـذه الرسالة، بدءاً من اختيار الموضوع ، وانتقالاً إلى ما بذله من توجيه ورعاية ، فجزاه الله كلّ الخير، وأطال في عمره سادناً للعلم والأدب.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أودع الإنسان قلباً ينبض وروحاً تشتاق إلى الكمال و الصلاة والسلام على هادي البشرية ومعلم الإنسانية محمد بن عبدالله الذي أرسله رحمة للعالمين وجعل رسالته قبساً يضيء في الظلمات وعوناً للمؤمن على الملمات ... أفصح العرب لساناً ، وأصفاهم جناناً و أرشدهم عقلاً وأوضحهم بياناً ... أوتي جوامع الكلم وقرأ باسم ربه أسرار الكون ، وهتف في محبة وصفاء ، " أدبني ربي فأحسن تأديبي ".

وبعد ...

قال تعالى : " ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين "[1] تلك الأرض مستقر بروضها الذي لا يفنى زهره ولا يتلاشى أريجه ، روض الشعور المترقرق الفواح بأطيب عبير العبير الذي يبثه أبناء الضاد ، عن لغة الضاد ، رفعوا لواءها عاليا مرفرفا في كل مكان وعلى مر الأزمان .

تلك الأرض التي نجني من ثمار رياضها الندية وننهل من أنهارها المستفيضة ، ونقف على أطلالها ونذكر مدارج الصبا فيها ، وإذا أجبرتنا الأقدار على تركها هاجنا الحنين إليها والتي نرخص أرواحنا يوم الفداء ... ألا وهي .. أرض الوطن ... الوطن شمس العطاء ونبع الخير ورمز الانتماء ... مهد أجدادنا وكنز أحفادنا وظل أمجادنا ، به آمالنا وطموحاتنا وتستقيم بمعالمه الغراء حياتنا ....

[1] سورة البقرة 36

ومحبة الوطن واجب على كل مواطن ، فمن حق الوطن علينا أن نقدم له جميع صور الولاء ، وأن نهب حياتنا له رخيصة يوم الفداء ، وأن نبنيه بسواعدنا وننافح عن مجده كل معتد طامع، يظل وطننا شامخاً أبياً مهما عصف به من نازلات ...

وهذه المحبة لا بد وأن تكون مبنية على الشعور والعاطفة فهي رابطة أساسية تجذب الإنسان لخدمة بلاده وتمييزها عن سائر البلدان الأخرى .... كما أن الاعتزاز بالانتماء إليه لابد أن يبنى على التقدير الواعي والاحترام ، والظهور بالصورة المشرفة التي يرتضيها الدين و الوطن.

فهذه سطور قليلة لعرض موجز لدراسة جانب الوطن و المواطن في الشعر الأردني طلبا للحوار والنقاش عن صلاحية الموضوع لرسالة الماجستير في اللغة العربية، مشتملا على أربعة فصول .

حدود البحث.

ستقوم الحدود على دراسة الجانب المتعلق بصورة الوطن و المواطن عند شعراء الأردن ، حيث يقوم الباحث بمسح عام وتعليق شامل لما ورد في دواوين الشعراء الأردنيين .

أسباب اختيار الموضوع.

دعت الباحث العوامل الآتية إلى اختيار الموضوع:

إن اختيار مصطفى وهبى التل و كذلك حسني فريز و نديم الملاح....وغيرهم لم يكن عشوائياً، بل جاء قصدياً وذلك لما يحظى به شعرهم من أهمية ذات خصوصية فريدة حيث إن شعرهم يقف على مفصل الأصالة والحداثة، وكون صورة الوطن تشكل ملمحاً أسلوبياً خاصاً في تجاربهم فشعرهم يميز لغة القصيدة

وبناءها، ويجعل من صورها ورموزها فضاء خصباً للتعالق بين قصيدته والموروث الشعري ومن ثم فإن للجانب الوطني حضوراً لافتاً في نصهم الشعري وقد أعانهم على ذلك ذاكرتهم الشعرية ومخزونهم من التراث الشعري و الديني إضافة إلى حبهم لوطنهم ومجتمعهم. حتى أصبح النص الشعري لديهم شبكة تجمعت فيها نصوص شتى. ومما حفزني لتناول هذا الموضوع:

1- رغبة الباحث في الاطلاع على أعمال الأدباء المحليين ، لما تحوي انتاجاتهم من قيم أدبية عالية الجودة.

2- قلة الدراسات التي تناولت صورة الوطن و المواطن وهما من الموضوعات التي استحوذت اهتمام الشعراء في الأردن .

حفلت فترة الدراسة باضطرابات وقلاقل وثورات متصلة ، الأمر الذي نتج عنه غزارة الإنتاج الشعري الوطني ، الذي يستمد وحيه وقوته من الحركات التحررية . إن الأحداث السياسية في الوطن العربي تؤثر بصورة كبيرة في نفوس المجتمع عامة ، والشعراء على وجه الخصوص .

ولاشك أن الحوادث و الأزمات التي شهدتها المنطقة ، كالحكم العثماني ، الذي عمل على طمس الشخصية العربية عامة ، و الثورة العربية التي تعطش لمثلها أبناء هذه الأمة، و القحط و الجفاف و الفقر الذي أصاب البلاد ، و الاستعمار الاوروبي ، و الكيان الصهيوني ، كل ذلك ساهم في إشعال الحركة الوطنية ، وأخذ بيد الشعراء الذين عبروا بلسان الواقع عما تعيشه البلاد .

أهمية البحث

يمكن حصرها فيما يلي:

1- الوقوف على ما لتراث الشعراء الأردنيين من خصائص وقيم وطنية تعزز الذوق الشعري لمن يمارسه.

2- يحيي التراث الأدبي الأردني المحلي من ناحية، والثقافة العربية من ناحية أخرى .

أهداف البحث

إن أهداف هذا البحث تندرج فيما يلي:

1- توضيح ما لشعراء الأردن من دور إيجابي في توثيق الصلة بين الوطن والمواطن ونقف على حقيقة هذا الدور مقارنة بإخوانهم الشعراء في البيئات العربية المجاورة.

2- . اظهار صورة الوطن و المواطن في الشعر الأردني بصورة دقيقة ومحددة .

3- غرس حب العناية بالأدب العربي عامة، وشعر بعض الشعراء الأردنيين خاصة في قلوب الدارسين والباحثين.

4- احياء التراث الأدبي الأردني العريق.

5- نظرة نقدية عادلة في شعر عرار وحسني فريز و غيرهم وبيان مكانتهم في الشعر العربي.

مشكلة البحث

على الرغم من العناية البالغة التي حظي بها تراث الشعراء الأردنيين ، إلا أن دراسة شمولية في التحليل الوافي لجانب الوطن و المواطن في شعرهم قد شكل فراغاً شاغراً لا بدّ من تغطيته ، فالمشكلة الرئيسة المتعلقة بهذا البحث تكمن في أن المعاني الوطنية (الوطن و المواطن) لم تنل حقها في البحث و الدراسة .

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على جانب من جوانب الإبداع الشعري الوطني للشعراء الأردنيين ، مع وقفات نقدية تبرز أصالة شعرهم ودورهم الريادي في حركة الشعر الأردني والعربي أيضاً، وذلك من خلال تقديم نماذج شعرية دالة تمثل الشعر الوطني في العالم العربي . وقد استخدم الباحث المنهج التحليلي في تحليل النصوص الأدبية . وعمل الباحث على التوصل إلى مجموعة من النتائج التي تبرز مكانة شعرهم ودورهم في تأسيس حركة الشعر الأردني الحديث والتزامهم بقضايا أمتهم وثورتهم من أجل العدالة من خلال لغة بسيطة .

منهجية البحث

وتقوم على استقراء تام لما ورد في الدواوين ، ثم يناقش ذلك بعقل واع ويزيل عنه الغبار، ويستنتج ما توصل اليه.

الدراسات السابقة

قد حظي بعض الشعراء الأردنيين بعدد لا يستهان به من الباحثين والدارسين تناولوهم بالدراسة، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

1- **علي الخرابشة** : " الصورة الشعرية في شعر مصطفى وهبي التل ". بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراة بجامعة اليرموك 2005م. وقد تناول الباحث ابداعات الشاعر ، من حيث الشكل, والمضمون، والصور البلاغية.

2- **ميساء عبيدات** : "التناص في شعر مصطفى وهبي التل ". دراسة تحليلية لنماذج مختارة. بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة ال البيت 2007م. عني البحث بالكشف عن جمالية التشكيل

الفني في نصوص عرار ، حيث اتخذت من التناص وسيلة لقراءة بعض النماذج الشعرية و الوقوف على مواطن الجمال فيها .

هذا البحث يختلف عن الدراسة الحالية ، لأن الباحث في هذا الصدد توسع في نطاق بحثه في الجانب الوطني عند الشاعر .

3- **تركي المغيض** : جماليات المكان في شعر عرار . 1989. اهتم الباحث بجماليات الظاهرة المكانية في شعر عرار ،فقد تبين من استقراء شعره أنها ظاهرة بارزة تميزه عن غيره من شعراء الأردن ، وحاول الباحث أن يحلل أبعاد جماليات المكان في شعر عرار وذلك ضمن أبعاد ثلاثة البعد الإنتمائي و النفسي و الجمالي . بشرح القصائد وتحليلها علميا . يختلف عن هم الباحث إذ سيقوم بدراسة الجانب الوطني .

4- **يوسف اصبيح** .المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر . 1987. اهتم الباحث بإبراز المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر وركز بصورة خاصة على المضمون الأسطوري ، وقد ركز الباحث على الشكل و المضمون ، و كذلك على الأحداث و الشخصيات السياسية المؤثرة في التاريخ العربي .

جملة القول ، إن الباحث سيوسع حدود بحثه، إذ سيهتم بما ورد في شعرهم من قصائد أدبية في المجال الوطني التي لم تحظ بدراسة من ذي قبل ، والتي كانت في حاجة ماسة لمن يتناولها لملء الفراغ الشاغر ، وإخراجه في ثوب مناسب .

هيكل البحث

اجتهد الباحث أن يكون هيكل بحثه على النحو التالي:

حدود البحث

أسباب اختيار الموضوع

أهمية البحث

أهداف البحث

مشكلة البحث

منهجية البحث

الدراسات السابقة

الفصل الأول: البيئة العربية لحركة الشعر

أ. الوضع السياسي في المنطقة العربية

ب. الحركة الشعرية في البيئات العربية

ج. دور الشاعر في الإصلاح

الفصل الثاني. : الشعر الوطني في الأردن

أ. الدعوة إلى حماية البلاد

ب. وصف الديار

ج. نبذ الفرقة و الدعوة إلى توحيد الصف

الفصل الثالث :الشعر الوجداني

أ. شعر الطبيعة

ب. وصف الخمرة

ج. الغزل العذري

الفصل الرابع : الشعر الاجتماعي

أ. الفقر و الفساد

ب. المرأة في العادات و التقاليد

ج. قضايا أخرى

الخاتمة.

قائمة المصادر و المراجع.

الفصل الأول

البيئة العربية و الأردنية لحركة الشعر

الفصل الأول

البيئة العربية و الأردنية لحركة الشعر

==========

تمهيد

يحاول الباحث في هذا الفصل أن يبين الحدود الزمانية والمكانية التي تشكل فيها الأردن إمارةً ومملكةً، وما المؤثرات التي أسهمت في نمو الوعي القومي والحركة الأدبية والصحفية؟ وما تأثير ذلك في الشعر؟ وما دور رجال الثورة العربية الكبرى في نمو الحركة الشعرية؟ ويقوم التصميم الذي اتبع في بناء الفصل على محاور هي:

أ. **الوضع السياسي في الأردن و المنطقة العربية .**

ب. **الحركة الشعرية في البيئات العربية .**

ج. **دور الشاعر في الإصلاح .**

أ. الوضع السياسي في الأردن و المنطقة العربية

عرف الأردن في الماضي بأنه جزء من بلاد الشام الجنوبية، ويتكون من قصبة طبريا وتسمى الأردن، وقصبة فلسطين في الجنوب ونشمل الأراضي الواقعة ما بين سهل عكا وغور الأردن، ومنه حتى البحر الأبيض المتوسط، ويؤيد ذلك فيليب حتي الذي يرى أن جند فلسطين هو الأرض الممتدة إلى الجنوب من مرج بن عامر. وأشارت دراسات كثيرة حديثة إلى أن جند الأردن في القرن التاسع عشر يتكون من شمال فلسطين

وشمال الأردن، وجند فلسطين وجنوبها، ويضم الجزء الأوسط والجنوبي من الأردن ابتداء من جنوبي نهر الزرقاء[1].

وارتبط الأردن عبر العصور ببلاد الشام، وخضع للحكم العثماني من 1517–1918 وظل طريقاً رئيساً يربط بلاد الشام بالحجاز، ولم يؤسس في الأردن جهاز حكومي مستقل قبل عهد الإمارة، فقد هيمنت الحروب والغزوات على العلاقات بين القبائل البدوية، وسكان الريف، والقرى. وكانت هذه المنطقة مسرحاً للتخلف الاجتماعي، بسبب غياب الأمن واضطراب الإدارة العثمانية، وكانت القوانين التركية تسري على الأردن حتى جاء الاستعمار البريطاني، ورحل الأتراك مكرهين عن الوطن العربي بأجمعه، ووقعت البلاد العربية فريسة للاسعتمار البريطاني والفرنسي[2].

لقد رسمت اتفاقية سايكس بيكو الشهيرة حدود عدد من الدول العربية، بعد تقسيم تركة الامبراطورية العثمانية، ففي السادس عشر من أيار عام 1916 أبرم موظفان كبيران هما: البريطاني سير مايك سايكس، والفرنسي جورج بيكو اتفاقية تقسيم المنطقة العربية، وتقضي هذه الاتفاقية بأن تمسك بريطانية بزمام بلاد ما بين النهرين، وتسيطر فرنسا على قطاع الساحل السوري واللبناني، واخضاع فلسطين لوضع خاص، واقتطاع إمارة شرقيّ الأردن وإلحاقها بالإنتداب البريطاني، وفي معاهدة سان ريمو سنة 1920، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، حددت مناطق الانتداب البريطاني والفرنسي، وتمكنت الدولتان من توجيه مصير المنطقة وسكانها العرب، وإخضاعها لأوضاع وحدود شكلية. ومع أن المنطقة نتاج تفاعل مستمر يربطها تراثنا العربي

[1] سعيد التل: الأردن وفلسطين، ص17، وللمزيد من التوسع راجع: فيليب حتّي: تاريخ العرب المطول، ج2، ص208، وقدري قلعجي: جبل الفداء، ص 415- 425

[2] عبد الله بن الحسين: الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين، ص 35

الواحد فوق أرض واحدة ومثل هذا التفاعل لم يتم بمعزل عن التيارات الخارجية، إلا أن رياح التغيير الغربية الجارفة هبت على أرض الوطن العربي وقت التوهج القومي، وقد جاءت قصائد الشعراء وأهازيج المغنين وحداء المسافرين وكأنها سجلات ملأى بمواجع النفس العربية، وطموحها في هذه البقعة من الشرق العربي[1].

وأن المتتبع لأخبار الأجداد ورواياتهم، والدارس للنصوص المكتوبة في شرقي الأردن يلحظ طغيان عنصر البداوة، وضعف الادارة التركية، والسلطة المركزية، وتنافس القبائل، واشاعة الفوضى في البلاد، واختلاط الجانب الاقطاعي بالجانب القبلي البدوي. وكان العرب المنتصرون على الأتراك يتطلعون بمفاهيمهم الجديدة في الحرية والاستقلال الوطني إلى تأليف حكومة مستقلة، تضع حداً للتسيب والفقر، وترسي قواعد وحدة العرب في دولة واحدة، لذلك شكل الأمير فيصل في تشرين الأول عام 1918 حكومة في دمشق باسم والده الملك حسين بن علي، وكان شرق الأردن يتبع الادارة في دمشق والرئاسة الجديدة، وقسمت سورية الطبيعية في تشرين الثاني عام 1919 إلى ثمانية ألوية شملت ثلاثة منها شرقي الأردن وهي: لواء الكرك ولواء البلقاء، ولواء حوران ومركزه درعا، ويتبعه من شرقي الأردن عجلون وجرش، وحين زحف الفرنسيون في تموز عام 1920، واحتلوا دمشق منفذين الانتداب على سورية ولبنان، وقع الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني، وقدم الأمير عبدالله إلى الأردن بعد أن تألفت حكومات أردنية محلية صغيرة، ووحد هذه الحكومات في إمارة واحدة، والتحق بالأمير كثير من أحرار العرب السوريين الذين فروا بعد معركة ميسلون[2].

استولت تركية على مقاليد الأمور في الأرض العربية، طوال أربعة قرون وكبتت الحريات والتوجهات الوطنية والشعور القومي، وامتد ذلك إلى مطاردة المفكرين والكتاب الذين ينظرون من غير المنظار التركي

[1] ملخص وجهة نظر جريدة الرأي، تاريخ 1990/8/10، وراجع فيليب حتي; تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج2، ص 309.
[2] منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن، ص 32، وسليمان موسى: الثورة العربية الكبرى، ص 93

المتعصب، وساد الجهل المطبق، ونشطت الخرافات والاعتقادات الشعبية الساذجة وانتشرت جيوب الفساد وسوء الإدارة، وندر التعليم، وتفشي الفقر، ولم يظهر كيان سياسي للأردن قبل عام 1921، لأن المنطقة كانت تتبع سورية الكبرى، وكانت الحالة في الأردن أقرب إلى الفوضى، لما كان بين العشائر من ثارات. فالإدارة المحلية التركية في حالة ضعف وتفكك مستمر، ولم يكن بمقدور زعماء القبائل الانتقال من مناطقهم العشائرية إلى ما يجاورها، وتعذر على الحاكم التركي الخروج بالبلاد من آفة التمزق إلى الوحدة والكيان السياسي، ومن التقهقر إلى العمران[1].

ولم يكن همه التمهيد لتولي أبناء الأمة لمقدرات البلاد أو التدرج إلى النظام النيابي. وعقد العثمانيون قبل نشوء الأردن اتفاقات مع شيوخ القبائل القوية التي تقيم على مقربة من طريق الحج، ودفعت لهم المبالغ الطائلة لكي يحافظوا على الأمن، ويشرفوا على البرك التي تملأ بمياه الأمطار. فقد اكتفت الدولة العثمانية بتسيير حملات عسكرية على البلاد لضمان استتباب الأمن في الأردن، لذلك كثرت الغزوات والحروب، واضطر القرويون إلى دفع ((الخاوة)) أو الضريبة على شكل ماشية أو حبوب أو نقود مقابل كف اعتداءات البدو عنهم، والسماح لهم بزراعة الأرض. وهذا الوضع سبب اهمال الأرض، وانتشار اللصوص وقطاع الطرق، وكثيراً ما أرسلت الحكومة العثمانية قوة عسكرية للتعاون مع الأهلين على مهاجمة قبائل البدو ومعاقلهم. وقد لجأ رجال الحكومة إلى ايقاع الأذى بالناس ومطالبتهم بأفدح الضرائب، أو الايقاع بهم بمختلف المظالم، فيستفزونهم للخروج عن الطاعة، أو حمل راية العصيان لتفشي المحسوبية والرشوة، وسوء تصرف المأمورين. فقد أعلن النفير في بدء الحرب العالمية الأولى، وأُلزم من هو في سن الجندية الانخراط في الجيش، وصودرت

[1] راجع: علي محافظة: عهد الإمارة، ص 15، وسليمان موسى: تأسيس الإمارة الأردنية، ص 31.

المؤن والخيول مقابل أثمان بخسة، وسيق شباب البلاد إلى ميادين القتال، ولحقت بالبلاد أضرار جسيمة بعد ازدياد عتوّ الأتراك وجبروتهم[1].

خرج العرب من الحرب العالمية الأولى وهم جسم بلا رأس، أو جسم برؤوس صغيرة كثيرة لا تهتدي إلى سبيلها، ولا يدري الجسم أي رأس يتبع، وعاش العرب تحت حكم الأتراك في حالة ذل، وأحصى الناس عشرات الحالات من الصلب والتشريد. وحظر عليهم الكلام بالعربية واستعمالها.

واشتراك العرب في الثورة على الأتراك جاء نتيجة طبيعية لسياسة التتريك وانتشار الظلم، وسوء الأوضاع الاقتصادية، وتزايد الفساد الإداري، وعجز الدولة العثمانية عن توفير الأمن والاستقرار في الديار العربية بعامة. وكان المشروع القومي (النهضوي) للثورة العربية الكبرى التي انطلقت من مكة عام 1916 يهدف إلى توحيد أقطار المشرق العربي في دولة عربية واحدة، تضم العراق والحجاز وبلاد الشام ومن ضمنها فلسطين[2]. وأعلنت أول دولة عربية في دمشق، ولكن بريطانية وفرنسا أصدرتا بياناً يقضي بتقسيم البلاد، وترتيب أوضاع فلسطين بانتداب خاص تنفيذاً لإنشاء وطن قومي لليهود، وربطت الإمارة الأردنية بانتداب وفق ترتيبات خاصة. ومع أن المقاومة العربية للمخططات الإستعمارية أبدت رفضها، إلا أن المستعمر فرض أمراً واقعاً بالقوة نتيجة التفوق العسكري وانتهاء الحكم التركي[3].

ويعالج هذا المحور نشوء الإمارة الأردنية، ونمو الوعي القومي والوطني في مجتمع عربي طلائعي في الأردن، ويقظة الحركة الأدبية والتربوية والصحفية وأثر ذلك في الشعر، ويفصل فيما يلي:

---

[1] هاشم ياغي: ثقافتنا في خمسين عاما، ص 69 – 82.
((الخاوة)) مصطلح بين القبائل، تدفع القبيلة الضعيفة ضريبة للقبيلة الأخرى.
[2] الميثاق الوطني في الأردن، ص 10، 1990، وهو ميثاق اتفقت عليه الاتجاهات الوطنية المختلفة في الأردن.
[3] قدري قلعجي: جيل الفداء، ص 263-283

في فترة نشوء الإمارة و بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، انفصلت الإمارة الأردنية عن بلاد الشام تحت اسم (إمارة الشرق العربي)، وكانت شحيحة الموارد، قليلة السكان، تعتمد على الرعي وزراعة الحبوب، وتئن من مخلفات التبعية العثمانية، تحكم نفسها بحكم قبلي عشائري الصبغة والمحتوى، وتستشري فيها الغزوات، ويكثر النهب والسلب والفقر والجهل المطبق. وتتناثر القرى في السهول والوديان. وبدأت الإمارة تشق الطرق، وتنظم أمور الدولة، وتنشئ المخافر وتجند الجند، بعد اعتمادها على المعونة البريطانية، واستفادتها من خبرات من وفدوا من الأقطار العربية المجاورة لتسيير دفة الحكم، بسبب نقص أعداد المؤهلين من أهل البلاد، ووقعت الإمارة تحت النفوذ البريطاني ممثلا في الأردن بمعتمد يعاونه عدد من المستشارين في الإدارات المختلفة. ومع ذلك بقيت الإمارة ملاذا لأحرار العرب من سوريين ولبنانيين، يجدون فيها الأمن والطمأنينة والملاذ الأخير، وظلت جذوة الثورة العربية، والوطنية المحلية تتوهج وتتفاعل على الرغم من أن بعضهم طالب باستبعاد الغرباء والتفرّد بإدارة شؤون البلاد[1].

ويشير بعض الدارسين إلى أن عمان لم تكن عام 1921 أكثر من قرية قليلة السكان، ضئيلة المباني، مظلمة السُبل، تشخص فيها الآثار، ويَرِدُ إلى مائها بدو رُحّلٌ وبعض سكان الأرياف، يبيعون ما تنتجه ماشيتهم، ويبتاعون ما يحتاجون، وللتجارة فيها شبه سوق، وحوانيت صغيرة وأكواخ وخيام تتناثر لبدو ضاربين حولها، وكانت البلاد أقرب إلى الفوضى، تتوزعها حكومات صغيرة يديرها حكام إداريون، وحُلّت الحكومات بمقدم الأمير، ولم يكن للمنطقة نظام خاص بالقوانين، وإنما كان الحكم فيها يميل إلى العرف والقضاء

[1] جريدة الشرق العربي، عدد (177)، 1927

العشائري. فالقانون المدني والنظام العسكري الأمني غير متوافر، وكان الناس يطلقون على الإمارة اسم حكومة شرقيّ الأردن، وشرق الأردن، وإمارة عَبَر الأردن، وإمارة الشرق العربي، وحكومة الشرق العربية[1].

وقد ذكر الأمير عبدالله أنه وصل إلى عمان في صباح الأربعاء الواقع في الثاني من آذار عام 1921، واستقبله شيوخ القبائل من الطفيلة والكرك والبادية والبلقاء وعجلون مهللين مُرحّبين، وكانت الأوامر تصدر من عمان، وفي أوائل نيسان تألفت أول حكومة أردنية من غير الأردنيين، وكانت خطة الأمير استرجاع سورية ولبنان من الفرنسيين، وقد وجد البلاد إقليماً مُمزقاً فقير الموارد، بلا حدود مرسومة، حتى أن بعض أجزائها كان ضمن دولة أخرى، لأن القبائل البدوية كانت تحيا منذ قرون متعددة حياة اللاشرعية، وتقوم على حرية الحركة، وعدم الخضوع إلا لنظام القبيلة، وأوامر شيخها، فاتكأ الأمير على المثقفين من أبناء سورية ولبنان والمستنيرين من أبناء الحجاز، ومن وفدوا إليه بعد سقوط الحكومة العربية في أثر معركة ميسلون. واعترفت بريطانية بحكومة الأردن المستقلة في الخامس والعشرين من أيار من عام 1923، وعملت على رسم حدود الإمارة التي اعترف بها العراق ونجد والحجاز والدولتان المنتدبتان: فرنسة وبريطانية، وشغل كثيراً من الوظائف فلسطينيون من حكومة الانتداب[2].

ب. الحركة الشعرية في البيئات العربية

حكمت الدولة العثمانية البلاد العربية ردحاً طويلاً من الزمن، فقويت شوكتها وحملت راية الدين وأقيمت الخلافة الإسلامية، مما حفز العرب على مبايعتها والرضى بالعيش في ظلها. وعندما ضعفت الدولة وتولى الحكم أناس ساروا على نهج مخالف لمن سبقهم، ظهرت النزعة العنصرية والعقائدية، هذا تركي وذاك

[1] خير الدين الزركلي: عامان في عمان، ص 27
[2] محمد محافظة: امارة شرقي الأردن، ص 112.

عربي، هذا مسلم وذاك نصراني، مما ولد العداء والبغضاء بين العرب وغيرهم، ودفع المجتمع إلى الانشطار، فمنهم من والى الدولة العثمانية لمصلحة في نفسه، ومنهم من وقف موقف المعارض. ومن الطبيعي أن ينقسم الشعراء كذلك، فمنهم من وافق الدولة الحاكمة وسايرها، ولم يبصر غير تلك المزايا الحسنة التي سمع عنها وربما شاهد بعضها في الأمس، فظل يتغنى بأمجادها ويثني عليها، وعزاؤه في ذلك جملة دوافع وأسباب، منها الخوف والرهبة من هيمنة الدولة وبطشها اتقاءً لشرها، ومنها طمع في التكسب بأشعاره ممن يمدحهم، ومنها عدم رؤيته الرؤية الصحيحة لحقيقة ما يجري حوله في يومه الذي يعيش[1].

وظاهرة التملق للسلطة العثمانية، ظهرت في معظم البلاد العربية التابعة لها، ولكن بنسب متفاوتة، تزداد في المناطق الأقرب إلى مركز السلطة والأماكن الأكثر احتكاكاً بها، وتضعف كلما ابتعدت عنها. ولذلك من الطبيعي أن تزداد في سوريا والعراق وفلسطين ولبنان، أكثر منها في مصر. وقد أشار المقدسي إلى ذلك بقوله: "على أنه لابد من القول أن الشعر المصري الحكومي برغم من اضطراره إلى مجاراة السلطة، لم يبلغ في تلك المجاراة مبلغ الشعر السوري والعراقي، بل ظل أكثر تحفظاً وأقل تطرفاً"[2].

البيئة السورية واللبنانية:

ظلت بلاد الشام وحدة واحدة طيلة الحكم العثماني، وظلت تلك التسمية (بلاد الشام) مظلة تحتضن شعوب المنطقة عامة، فلا حدود تقيدهم، ولا سياسات تباعد بينهم، يتقاسمون لقمة العيش المغموسة بعرقهم، ويربطهم شريان الدم الذي ما فتئ ينزف عبر السنين الطويلة. بقي الأمر كذلك إلى أن لملم الترك شتاتهم من البلاد، وشمّر العرب عن سواعدهم ليلحقوا بركب العالم، ولكن الفرصة لم يحن أوانها، كان الاستعمار

[1] انظر الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث. أنيس المقدسي. ص91 وما بعدها. وانظر فلسطين في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج العربي، د. محمد إبراهيم حور، ص37.

[2] الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس المقدسي، ص99.

الأوروبي بالمرصاد، ينتظر الفرصة التي طال تخطيطه لها، فخيم على البلاد، لتعود إلى المعاناة من جديد، ولكن بأسلوب أشد وأبشع مما كانت عليه. باعدوا بين الشعوب بحدود أوجدوها ولا زالت تباعد بينهم إلى يومنا هذا، وقسموا البلاد إلى دويلات. قُسّمت الأضحية بين بريطانيا وفرنسا، فأخذت فرنسا بلاد الشام الشمالية التي عرفت بسوريا ولبنان، وكان نصيب بريطانيا الجزء الجنوبي منها، الأردن وفلسطين.

رغم هذا التقسيم الأليم، ورغم الفصل بين الشعوب بالحدود والأسلوب الاستعماري، إلّا أن الإحساس بقي مشترك بين شعوب هذه الأقطار، والهدف المشترك غاية كل فرد فيها.

لقد حمل الشاعر نزار قباني الوطن معه في كل مكان يذهب إليه فهي تسكن في مخيلته ولاتبارحه لحظة فيقول :

مضى عامان ياأمي

وليل دمشق

فل دمشق

دور دمشق

تسكن في خواطرنا[1]

[1] ع.فاطمة الزهراء :نزار قباني من روائع قصائده ،ص :41-42

إن شعر نزار السياسي قد تميز بصوره المبتكرة التي تخرج عن كل ماهو مألوف في أغلب أشعاره إلا أنه زاد من جرعة السخرية والاستهزاء في قصيدته « هوامش على دفتر النكسة » كانت أحكامه قاسية فجاءت بلغة سهلة وبسيطة تلامس الشعور الشعبي وتؤثر في وجدانه فقد قال :

كتبت الهوامش في مناخ المرض والهذيان وفقدان الرقابة على أصابعي لذلك جاءت بشكل شحنات متقطعة وصدمات كهربائية متلاحقة إنني لا أذكر أنني كتبت في كل حياتي الشعرية قصيدة بمثل هذه الحالة العصبية والتهيج غير أن حزيران كان شهراً بلا منطق لذلك فإن الكتابة عنه هي الأخرى يجب أن تكون بلا منطق ..

فهذه الوتيرة التصاعدية في السخرية والتهكم تلاحظ في أغلب أشعاره السياسية من الهوامش إلى الاستجواب ، الممثلون ، الخطاب والوصية ، وحوار مع أعرابي أضاع فرسه ،وبانتظار المهرولون ،ومفكرة عاشق دمشقي ،وقصيدة اعتذار لأبي تمام...الخ من القصائد السياسية التي لا يمكن حصرها فبدأ بها نزار مثخنا بالجراح ينهال بالشتم والسباب على كل من يراه عقبة في وجه التقدم العربي فيقول في قصيدته من مفكرة عاشق دمشقي :

يا ابن الوليد .. ألا سيف تؤجره

فكل أسيافنا قد أصبحت خشبا

دمشق ياكنز أحلامي ومروحتي

اشكو العروبة أم أشكو لك العرب

أدمت سياط حزيران ظهورهم[1]

أما في قصيدته بلقيس التي جاءت بعد موت زوجته وحبيبته بلقيس فتزداد وتيرة التذمر والشكوى من الوضع الراهن حتى أنه فقد ثقته بالحياة والعرب والعروبة فيقول :

قسماً بعينيك اللتين اليهما

تأوي ملايين الكواكب

سأقول يا قمري عن العرب العجائب

فهل البطولة كذبة عربية

أم مثلنا التاريخ كاذب ؟[2]

وفي وسط هذه الظلمات والانكسارات التي عاشتها الأمة لفترة معينة نجد أن نزار لا يتوانى عن رفع بارقة من الضوء تبشر بغد واعد فنراه يندفع في تشرين يغني للوطن الذي تحرر من عقدة الذنب ومسجلاً انتصاراً ساحقاً فجاءت قصائده مفعمة بالحب فيقول :

[1] مفكرة عاشق دمشقي، نزار قباني

[2] ع.فاطمة الزهراء :نزار قباني من روائع قصائده ،ص :41-42

ألاحظت

كيف تحررت من عقدة الذنب

كيف أعادت لي الحرب

كل ملامح وجهي القديمة

أحبك في زمن النصر إن الهوى لا يعيش طويلاً بظل

الهزيمة

ومن هذا الجو خرجت قصيدة عمر أبو ريشة الشهيرة (بعد النكبة) أو (نخوة المعتصم) أو (أمتي)، عام 1949، ونختار منها أبياتها الشهيرة التي تشير إلى ذلك التخاذل:

أمتي هل لك بين الأمم منبر للسيف أو للقلم

رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه البنات اليتّم

لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم!

لا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم[1]

[1] ديوان الشاعر عمر أبي ريشة ص 7

البيئة الفلسطينية:

لا شك أن البيئة الفلسطينية، من أخصب البيئات العربية وأكثرها استيعاباً للشعر والشعراء، فهي أكثر البلاد تعرضاً للاحتلال، وممارسة شتى أنواع القهر والاضطهاد لأبنائها.

تأثر الشعر الفلسطيني، عبر مسيرته الشعرية منذ عام 1917 وحتى نكسة حزيران سنة 1967، بعدد من العوامل الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية، تراثياً وقومياً وعالمياً، والتي كان لها دور في رسم الملامح الموضوعية والفنية في القصيدة الفلسطينية.

فبالإضافة إلى الموهبة الفطرية التي كان يتمتع بها الشاعر الفلسطيني المعاصر، فقد أفاد من التراث العربي القديم على كافة المستويات الدينية والتاريخية والأدبية. ووظفها في قصيدته المعاصرة وأضاف اليها حبه لوطنه ومجتمعه مستلهماً معانيه مما شاهده من تشريد وتهجير.

ومن خلال اتصال الشاعر الفلسطيني بالعالم العربي من حوله، أفاد من العوامل الفكرية والثقافية والأدبية والسياسية في العالم العربي كالأدباء والمفكرين والمثقفين ورجال السياسة والأدب والمصلحين، ومن وسائل النشر والاعلام كالصحافة والمجلات والجماعات الأدبية والفكرية والإذاعات العربية، والأحداث السياسية وحركات التحرر والنضال العربية وغيرها.

والجانب الثاني من تلك الجوانب هو أحداث الوطن العربي، والأوضاع التي مرت به سياسياً وعسكرياً واجتماعياً وفكرياً.

فعلى الرغم من ابتلاء الفلسطينيين بالاستعمار والصهيونية، ومعاناتهم داخل وطنهم وخارجه، إلا أنهم كانوا على اتصال بالبلاد العربية، وعلى اتصال واطلاع على أحداثها التي كانت تمر بها، فهذا إبراهيم طوقان يحيي الأمير المجاهد (عبد الكريم الريفي) بطل الريف المغربي ، قال فيه:

في ثنايا العـــجاج والتـــحام الســـيوف

يتهـــادى نســـيم فـــيـــه أزكى ســلام

نحـــو (عبد الكريم) الأمـــيـــر الهـــمام

ريفنا غابُنا نحن فيه الأسود ريفنا نحمـــيـه

كلُّنا نعـــــجب بـفـــتى المغـــرب

كـــــلـــنا يطرب لانتـــــصـــــار الأبي[1]

ويخاطب فتية المغرب، حاثاً إياهم على الجهاد وتحرير البلاد[2].

ويخاطب وديع البستاني (اللوردبلوفر) الذي أصدر بياناً رسمياً شكره فيه حسن التلبية لندائه باعتباره اليوم الحادي عشر من تشرين الثاني سنة 1925 تذكاراً للهدنة وتكريماً للسلام، وطلب من الناس التوجه إلى

[1] ديوان ابراهيم طوقان. ص 517-518. والبدوي الملثم إبراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته ص24.
[2] ديوان إبراهيم طوقان ص 514.

المعابد في اليوم التاسع من كانون الأول شكراً وحمداً من أجل تحرير القدس، ذلك والثورة السورية في الشمال في إبائها ضد الفرنسيين، فيقول ساخراً:

فـديتك أيُّهـذا المارشـال أهذا القول أولى مـا يقـال

أنحـمـد هدنة كذباً وزوراً وتلك الحرب قائمة، سجـال

قتـال في الشمـال[1]، ونحن منه جنوب والشمـال لنـا شـمال

جنوب والشمـال لنا شمـال فـديتك ليس بر الشـام عنـا

بعـيـداً لا تشدُّ له الرحال فـمـا أهلوه إلا الأهل إنـا

فـمـا أهلوه إلا الأهـل إنـا –تقول عروقنا– عم وخـال

وإن تبـصـر ترى القطرين قطراً فنحن سـهوله وهم الجـبال[2]

في مرحلة الانتداب، كان تأثير العناصر الأجنبية ضعيفاً في الشعر الفلسطيني، حيث كان يتمثل في شعر بعض الشعراء الذين لهم إلمام باللغات الأجنبية كالانجليزية والفرنسية والتركية، والذي أتاح لهم قراءة بعض الأعمال الأجنبية، أو التعرف على الأحداث التي تجري في تلك البلاد.

ومن الشواهد على ذلك قصيدة بعنوان "إن" للشاعر خليل السكاكيني، عارض فيها قصيدة بعنوان "IF" للشاعر الانجليزي (كبلنج)، والتي يقول فيها السكاكيني:

[2] ديوان الفلسطينيات .وديع البستاني .1946

إن يخـفـض النّـاس الرؤوس فـإنّنا نعليـــــهــا

أو يرخص النّاس النـفـوس فـإنّنا نغليـــــهــا[1]

كذلك كان إبراهيم طوقان ملماً بالتركية والانجليزية، وأتاحت له هذه الناحية

البيئة العراقية:

لم تكن الساحة العراقية غائبة عن بال الاستعمار، ولم يكن حالها أحسن من غيرها، فقد أُذيق الشعبُ العراقي ما ذاقه الآخرون من ألوان التعذيب والسفك والاضطهاد، حاول العراقيون إصلاح الوضع والحصول على ما ينشدونه من استقلال وحرية، عن طريق التفاوض والمراسلات بينهم وبين الاحتلال، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل، وأدرك العراقيون أن ما أخذ بالقوة لابد أن يُسترد بالقوة، فوجدوا أن الثورة لابد منها، وكان الشعب ملتهباً حماساً، فشارك الشعراء في إشعال نار الانتفاضة، وثاروا وأضرموا الملاحم الدامية، وأقلق هذا الوضع مضاجع الشعراء، ليراقبوا الأحداث الجارية عن قرب، ويعبروا عن الأحاسيس بصدق، فزينوا بجواهرهم دماء الشباب التي أُريقت فداءً للوطن، واستبسالاً في الدفاع عن حماه[2]. ومن الذين زينوا صفحات الأدب بقلائدهم، الشاعر محمد الشبيبي، الذي يأبى أن يتخلى عن إسلامه وعروبته، فهما عنصر وجوده، وفيهما سكب قصائده، ومنهما يستمد قوّته الشعرية التي يشهرها سلاحاً في وجه الأعداء[3]. ومن أشعاره التي قالها محذراً من الاحتلال ومستنهضاً الهمم قوله:

[1] د. عبد الرحمن ياغي. حياة الأدب الفلسطيني الحديث ص 220-221.

[2] انظر الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور. د. شوقي ضيف. ص210 وما بعدها.

[3] انظر في الأدب العربي الحديث. د. يوسف عز الدين. ص113 وما بعدها. وانظر الاتجاهات الأدبية. أنيس المقدسي. ص 163، 164.

بني يعرب لا تأمنوا للعدى مكرا خذوا حذركم منهم فقد أخذوا الحذرا

يريدون فيكم بالوعود مكيـدة ويبغون إن حالت بكم فرصةٌ غدرا

فلا يخدعنكم ليـنُهم وتذكـروا أضاليلهم في الهند والكذب في مصرا[1]

وعن عصبة الأمم وغدرها بآمال الشعب العراقي، عندما أوكلت أمره إلى المستعمر الإنجليزي، يصرخ محمد الشبيبي بقصيدته (واحسرتاه على العراق)، معلناً زيف الوعود وعمق المكيدة، وما قوله:

يا عصبةَ الأمم التي قد أوكلـــت أمر العراق إلى الذي يستعبـــدُ

ما كان عهدك وهو عهد جائـــر إلا لمنفعة الذين تعهـــــدوا

فالشبيبي كان يطمح بنهوض شامل في البلاد على كافة الأصعدة، إلا أنه اصطدم في الواقع، فبان ثمة فارق بين النظرية والتطبيق وبالأخص بعد أن اصطدم بالمسؤولين المنحرفين الذين انتهكوا حُرمات القانون، فهو يقول متمثلاً قول الشاعر:

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا وما لزماننا عيبُ سوانا

وهذا لا يعني أن الشبيبي ينفي أثر سياسة الأجنبي والذي جند بعضاً من أصحاب النفوس الضعيفة لخدمة أفكارهم ومصالحهم، فهو يقول: «بدأ المستعمرون برسم الخطط للانتقام من المخلصين قبل مدّة طويلة، أي في الدور الأول من أدوار الحكم الوطني، بيد أن الظروف لم تكن مواتية لتطبيقها برمتها، ولذلك شرعوا

[1] الاتجاهات الأدبية. أنيس المقدسي. ص164.

بتطبيقها تدريجيا، ولما أصبحت الظروف مواتيةً لهم في هذه السنوات الأخيرة بادروا إلى تطبيق هذا البرنامج... هكذا عادت البلاد جنة لفريق من النفعيين الانتهازيين، وسجناً لكثير من أبنائها الأمناء وذلك على الوجه الذي دبره بعض المستعمرين، بل هكذا أصبح العراقي الحُرّ غريباً في وطنه»[1].

الفكر، سمة من سمات الشاعر المجدد، وقد طبعت هذه السمة أغلب شعره، فهو يرى مثلاً في الظلم أقبح صفة يتخلق بها الجائرون الظالمون، فحز ذلك في قلبه، وهو يراهم يعملون ما يشاءون، فيقول فيهم:

يقولون: اتيان الكبائر جائز وفعل الخطايا المنكرات مباحُ

أخي هذه الأخلاق للجنس نهضةٌ وللبشر الآتين منه فلاحُ؟

يريدون للدنيا ضماداً وأنهم بجثمان هذا الاجتماع جراح[1]

فالنهضة التي يتطلع لها الشبيبي لابدّ أن يساهم أبناء شعبه فيها، إلا أنه يرى شباباً لا يدركون معنى الإصلاح وقيمة الفكر التجديدي، وشيباً عاجزين عن فعل شيء، فيصرخ قائلاً:

شبابٌ طائشٌ نزق وشيب مابهم رمقُ

وشعب طالب ثقةً فدلوه بمن يثقُ

ففي آرائنا شِيعٌ وفي أحزابنا فرق[1]

[1]المرجع السابق ص160

والأروع ما قاله في الجانب الفكري، اعتقاده على أن الحقيقة الكاملة معنىً مجازياً، وكُلّ يقرؤها بمنظوره الخاص ويعتقد جازما أنها الحقيقة، فكتب قصيدته بعنوان «الحقيقة لا تدرك «وهي نقداً للتقليد والجزمية والتطرف في إطار البحث العلمي، فيقول:

يسوق له دليل تخرّصاتٍ ويمنع خصمه أن يستدلا

يؤلفها قياساً منطقيا تُمثله قضايا الوهم شكلاً

رويدك قد فتنت بهانفوسا رأتك لأن تهذبهنّ أهلاً

دجى التقليد مات ولو تقرّى شؤون المستقلين استقلا

يصوب دونهم طرفاً غضيضاً ويقبض دونهم باعاً أشلاً

فمأسورٌ وإن قالوا طليقٌ ومأخوذٌ وان قالوا مُخلّى

بماذا يا نصير الجهل قل لي تميس تغطرساً وتميل دلاّ

وما طاوٍ يهاب الوحشُ منه عملّس يسحب الذيل الرقلاّ

بأغدر منك إذ تبتزّ مالاً يحرّمه النُهى وتراه حلاّ

اذا وجد المريب بأرض جُبنٍ

[1]الاتجاهات الأدبية. أنيس المقدسي.
[2]المرجع السابق ص160

تولّاها، وإن شجت تولّى[1]

البيئة السعودية والخليج العربي:

كان لسفك الدماء واعتقال الشباب وتشريد المواطنين، أثر في تعاطف الشعوب العربية مع بعضها البعض، مما أدى إلى ثورةٍ شعريةٍ في مختلف البقاع. ومنطقة السعودية والخليج العربي، من المناطق التي لا تقل أهمية عن غيرها في دعم القضية الوطنية فعلاً ونظماً. ومن الشعراء الذين نذروا أنفسهم وسخروا قصائدهم للمصلحة العربية محمود شوقي الأيوبي، الذي تتبع أحداث فلسطين ووصف غطرسات اليهود، وكشف ممارساتهم للعيان، بقوله:

وفي فلسطينَ من بلفور مهزلةٌ هزت من خمار الحقد أذقـان

فحادث القدس ساء الناس قاطبة و(للبراق) عن التنكيل برهـان

واليوم أشعلتم ناراً تؤججهـا أيدي اليهود وهم للفتك ذوبـان

لهفي عليكِ فلسطين العزيزة يا مهد السلام وللإسلام بستـان[2]

---

[1] معجم مؤرخي الشيعة، صائب عبد الحميد 2: 196.

[2] القضية العربية في الشعر الكويتي، خليفة الوقيان، الكويت، ص113. وفلسطين في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج، د. ابراهيم حور، ص31-32.

واهتم الشعراء في الكويت بالقضايا العربية الأخرى في أفراحها وأتراحها، وظهرت مبكرا الأحاسيس القومية لأوطان عربية وقع عليها الظلم كالاستبداد الإيطالي على الشعب الليبي، والانجليز في اضطهادهم لمصر والعراق وإمارات الخليج العربي، وفلسطين.. وتألم الشعراء في الكويت لما حل في الشعبين السوري واللبناني من مظالم من قائد الجيش العثماني التركي الذي نصب المشانق وأعدم الكثير من الشعبين، في الفترة من 1915 إلى 1917.. وبعد حين قال محمود شوقي الايوبي:

حتى إذا هاج مفتونا بصولته

جمال يشنق من أحرارها فيها

ثاروا وهبّوا جميعا من مراقدهم

وهدّموا من قلاع الظلم عاليها

سارت مواكبهم نشوى يؤرّقها

سوق التحرر من أيدي أعاديها[1]

وتحدث ناصر الغانم عن ضعف الأمة وتفرقها:

جزعت وما خوفا من البين أجزعُ

وما هالني أمر به القلب يفزعُ

ولكنني أخشى تفرق أمة

[1]القضية العربية في الشعر الكويتي، خليفة الوقيان، الكويت، ص113.

لها الله من دون البرية مَفْزعُ

وعبدالله الصانع يشير إلى تناصر مشايخ الخليج العربي ونراه يخاطب الشاعر أحمد بن سلطان:

قل لي فدتك النفس حتى متى

نار العدى بين المشائخ تضرم

فعلى الوفا والاتحاد تعاهدوا

وإلى المعارف والعلوم تقدموا[1]

وناصر شعراء الكويت كفاح الشعب الجزائري وهم: صقر الشبيب، وعنجري أحمد العنجري ومحمد أحمد المشاري، وخالد سعود الزيد وعبداللطيف النصف، وخالد الفرج، وعبدالله سنان.

تعدُّ ظاهرة (الانتماء) من أهم الظواهر الإيجابية، في الأدب العربي الحديث وقد شهدت على مدى السنوات الماضية، تطورات مختلفة تبعاً للتطور الفكري والحضاري الذي يشهده العالم في عصرنا الحالي، ومن هنا كان استدعاء هذه الظاهرة في الشعر السعودي الحديث والوقوف على ملامحها الموضوعية من أولويات البحث الأدبي الذي يُعنى بمواكبة المستجدات الثقافية ذات التماس المباشر مع الواقع والفكر والأحداث.

ومن هنا رأينا الانتماء العربي يمثل تياراً بل اتجاهاً واضحاً وجلياً في الشعر السعودي الحديث. وقد تمثل في الدعوة إلى وحدة كلمة الشعوب العربية، وإعزاز شأنها، ونصرتها على أعدائها، والفرح بأمجادها، والتألم

[1] المرجع السابق 1977.

لمآسيها[1]. كما تميز بدمج المعاني الإسلامية في العروبة، حيث لم يرتض الأدباء بأن تبحث الأمور بنظرة عربية مستقلة، بل إنهم رأوا بأن الدعوة إلى العربية، إنما هي فرع من الدعوة الإسلامية.

وبالنظر في المادة الشعرية المتعلقة بجانب الانتماء العربي في الشعر السعودي الحديث نجد أنها تغطي مساحة واسعة من الهَمَّ العربي الذي يشغل بال الإنسان/الشاعر، حيث نراه يشارك بفكره وشعوره في خدمة أمته ولا يتوانى في استنهاض الهمة واستدعاء الشوق وتمجيد البطولات وإثارة العزة والتذكير بالماضي العريق والأمجاد الزاهية.

ولعل من أبرز الموضوعات التي شارك فيها الشاعر السعودي أبناء أمته: الدعوة إلى الوحدة العربية التي كانت حلماً ورودياً يدغدغ مشاعره وإحساساته وطموحاً قومياً يتغلغل في عقله وذاته، وممن تغنى بهذه الوحدة ورفع شعارها محمد حسن عواد [2]حيث يقول:

لا حجازٌ لا سوريا لا عراقٌ لا ولا نجد في رضى التوحيد

إنما أمــةٌ كبيرة آمــالٍ جسـامٍ عـدوة التبديــد[3]

وقد انطلق رافعا صوته بهذا الأمل المنشود، يرنو من خلاله إلى مستقبل مشرق للشعوب العربية، ممتد بامتداد الطموح العربي في كل مكان. ها هو ينادي بذلك في قوله:

خُذوا على الوحدة الكبرى مواثقنا فنحنُ في حُلل الأهـواء نرتطم

[1] أمين، بكري شيخ: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص 324-325

- 1 محمد حسن عواد، شاعر سعودي، ولد في مدينة جدة سنة 1920 م، ودرس فيها ونظم الشعر مبكراً، انظر: شعراء في المملكة العربية السعودية لمحمد محمد شراب، ص 593-594، وأدباء سعوديون لمصطفى إبراهيم حسين، ص 387.

[3] عواد، محمد حسن: نحو كيان جديد، ص 218.

هذي قلوبٌ تصافيكم على أمـلٍ يبني العروبة صرحاً ليس ينهدم

إن كان في سوريا من لفحة قبس فبين أحشائنا من وقدة ضـرم

وفي العراقِ وفي مصـر أشعته قوية في نفوس العُرْب ترتسم

فالعربُ في كل صقعٍ نازعون له ومدركون به مـا تُدرك الأمم

نَحْيَـا لـه ونغذيـه ونبعثــه في أي شكلٍ يشاء العزم أو يسم

حتى نشـيدها في الكون مملكة حكامها عربٌ، حُسّادها عجم

ممتدة من أقاصـي الشرقِ، ضاربة إلى التخوم بها الأرجاءُ تزدحمُ[1]

وإبراهيم هاشم الفلالي[2] من أكثر الشعراء حديثاً عن هذه الوحدة، وأقدرهم على تصوير أهميتها، وبيان مدى الحاجة الماسة إليها في الواقع المعاصر. استمع إليه إذ يقول:

أخــي بالوحدةِ الكبـرى نعيـشُ العمـرَ أحـرارا

أقـام بأرضـنا زمنـاً وأورثَ قومنــا عـارا

سـنمحو العـار لا نُبقي بـأرضِ العُرب أشـرارا

ســنجليه بوحـدتنا ونجلـي كُلَّ من جـارا[3]

[1] جريدة صوت الحجاز، ع 656، صفر 1354هـ.
[2] إبراهيم هاشم الفلالي، شاعر سعودي، ولد بمكة المكرمة، سنة 1324 هـ.، انظر: شعراء من المملكة العربية السعودية لمحمد محمد شراب، ص 213-214.
[3] عبد الحبار، عبدالله: التيارات الأدبية، ص142.

وقد استبد هذا الصوت المنادي بالوحدة بمجموعة كبيرة من الشعراء السعوديين الذين أشادوا بالعروبة ووحدتها، ولا سيّما بعد أن بدأت تباشيرها في الوحدة بين سورية ومصر، فكانت لهم قصائد تقطر حماسة لهذا المعنى، على نحو قول محمد سعيد المسلم[1]:

فالوحدةُ الكبرى هي الأملُ الذي سيعيدُ مجدَ بلادنا المفقودا

والوحدةُ الكبرى هي الفتحُ الذي سيكونُ عهداً للنضال جديدا[2]

البيئة المصرية:

لا شك أنها بيئة الفحول من شعراء العرب في العصر الحديث، ولا أحد ينكر ما للشعراء المصريين من ثروة شعرية هائلة، قامت على خدمة قضايا الأمة، والسهر من أجلها. كان شوقي وحافظ وأحمد محرم وأحمد زكي، وغيرهم، من شعراء مصر، في مقدمة الشعراء العرب الذين أفنوا شخصيتهم وحياتهم من أجل شعوبهم، فلا تهمهم مشاعرهم الذاتية بقدر ما يهمهم أن يحيا شعبهم، فلا تهمهم مشاعرهم الذاتية بقدر ما يهمهم أن يحيا شعبهم كريماً معززاً، وأن تحظى أوطانهم بالصون والحماية، لا يشوبها التدنيس والتقسيم[3]. فلا يقبلون بديلاً عنها ولو كان جنة الخلد، وصدق شوقي حين عبّر عن عاطفته بقوله:

وطنـي لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه بالخلد نفسـي[4]

ومما يدل بلا أدنى ريب عن صدق انتماء شوقي وحبه لوطنه، قوله بعد عودته من المنفى:

---

[1] محمد بن سعيد بن موسى المسلم، ولد في القلعة بالقطيف عام 1341 هـ.، وتلقى تعليمه في مدينة القطيف ثم غادرها إلى العراق والتحق بعدد من معاهدها،وحصل على دبلوم المحاسبة. عمل مديراً لأحد فروع بنك الرياض إلى أن تقاعد. يكتب إلى جانب الشعر: القصة والمقالة والنقد. من دواوينه: شفق الأحلام، عندما تشرق الشمس وغيرهما. انظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين: 430/4.

[2] المسلم، محمد سعيد: شفق الأحلام، ص 46.

[3] انظرالشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، د. شوقي ضيف، ص195-196.

[4] أحمد شوقي، أمير الشعراء، فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ص157.

ويا وطني لقيتك بعد يــأسٍ كأني قد لقيتُ بك الشبابـا

وقد اتَّخذ أحمد شوقي من موطنه المقدَّس – المدينة المنورة – سلاحًا يشنُّ به حربًا شعواء على الطُّغاة المستعمرين، ويَشحذ الهِمَم، ويستنجد الأبطال من خطَر إسرائيل الذي أقلق العالَمَ الإسلامي، وروَّع أمْنَه:

إِنَّ الْمَدِينَةَ مَوْطِنُ الْهَادِي الرَّحِيمْ

تَسْتَنْجِدُ الأَبْطَالَ مِنْ خَطَرٍ عَظِيمْ

مِنْ قَوْلَةِ البَاغِينَ عَنْ وَطَنٍ قَدِيمْ

مِنْ أَجْلِكُمْ أَنْتُمْ فِدَائِيُّ الْحَيَاهْ

دَوَّى بِطَيْبَةَ صَوْتُ أَبْرَارٍ تُقَاهْ

تَرْجِيعُ أَصْدَاءٍ تُنَادِي بِالنَّجَاهْ

لِتَعُودَ فِي القُدْسِ الشَّرِيفِ لَنَا الصَّلاه[1]

يَلِجُ الشاعر إلى نَقْد الواقع المعاصر المتردّي، وما فيه من آلام، وفُرقة، وضياع؛ فقد ضاعت فلسطينُ من أيدي العرب، وتلاعبت إسرائيل بأفئدة المسلمين، وحزَّ ذلك في قلب الشاعر، فتألَّم وشكا، وتوجَّع وبكى، وكان يأمل في الاقتداء بسيرة المصطفى – صلَّى الله عليه وسلَّم – والتمسُّك بحبل الله المتين؛ لأنَّه لا سبيل إلى الهدى والرشاد، واستردادِ ما فات إلاَّ إذا عُدنا إلى الدين الحقِّ

وَأَغْوَتْ أَسَالِيبُ عَصْرِ الفَضَا

[1] المرجع السابق ص178.

ءِ أَغْوَتْ بِنَا فِي مَسَارِ الْحَرَامِ

نَرَى النَّاسَ تَاهُوا وَضَلُّوا الْخُطَا

وَأَنْسَاهُمُ الرُّوحَ غَزْوُ اللِّئَامِ

ضَيَاعٌ يَعِيشُونَهُ فِي ضَيَاعٍ

بِلاَ وَعْيِ قَلْبٍ.. بِلَيْلِ السَّقَامِ

خَسِرْنَا فِلَسْطِينَ.. وَالعُرْبُ تَلْغُو

وَتَشْكُو وَتَرْجُو بِغَيْرِ اعْتِصَامِ

فَهَلاَّ وَعَيْنَا وَعُدْنَا إِلَيْكَ

رَسُولَ الْهُدَاةِ وَخَيْرَ إِمَامِ

إِلَى دِينِنَا الْحَقِّ نَقْوَى وَنَغْدُو[1]

ويَدعو الشَّاعر إلى التَّضامن بين المسلمين؛ لأنَّ في وَحدَتِهم وتضامُنِهم قوَّةً لهم، ويدعو قادة العرب إلى التوحُّد وعدم الخلاف، وأنَّهم قدَرُنا الموعود، وعليهم تُعقَد الآمال في الْتِئام شَمل الأمَّة العربية، وإلى تحرير القدس المحتلَّة، وتتَّفِق أدوات الشاعر الفنيَّة والتعبيرية مع مقصده ومَرْماه، فيُكثِر مِن استِخدام أدوات النِّداء؛ للحثِّ والتَّنبيه، وأفعال الأمر لغير الواحد للغرض نفسه، وللنُّصح والإرشاد، وكذلك الأمر في استخدام أدوات النَّهي:

فَيَا بَنِي يَعْرُبَ صُونُوا أَمَانَتَكُمْ

[1]أحمد شوقي، أمير الشعراء، فوزي عطوي، دار صعب، بيروت

هَذِي الْمَلايِينُ أَضْنَاهَا الأَذِلاَّءُ

كَمْ شَرَّدُوا وَبَغَوْا وَاسْتَأْثَرُوا بِهِمُ

قَدْ آنَ أَنْ يَسْتَحِلَّ الأَرْضَ أَبْنَاءُ

يَا عُصْبَةَ الْخَيْرِ مَنْ لِلشَّرْقِ غَيْرُكُمُ

وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ ظُلْمٌ وَأَهْوَاءُ

لاَ تُخْدَعُوا بِأَضَالِيلِ العِدَا فَهُمُ

كَمْ أَوْقَعُوا بَيْنَكُمُ.. وَالكُلُّ أَدْوَاءُ

وَأَنْتُمُ القَدَرُ الْمَوْعُودُ يُنْقِذُنَا

بِهِ تَدُولُ تَمَاثِيلٌ وَأَعْدَاءُ[1]

وشعراء الأردن كغيرهم من شعراء البيئات العربية المجاورة عملوا ما بوسعهم من أجل صمود الشعب ومواجهة الأزمات، ودعوا بكلماتهم إلى الذود عن الحمى وطرد المستعمر من البلاد، بالإضافة إلى رفض الذل بجميع أشكاله،وسوف نقف على مشاركاتهم بهذا الجانب في الصفحات القادمة.

ج. دور الشاعر في الإصلاح

لقد عُرف العرب القدماء بشعرهم وشعرائهم أكثر مما عرفوا بآثارهم في البناء والعمارة ، فكان ديوانهم الذي شمل حربهم وسلمهم، كما كان منبع أحاسيسهم ومثار فخرهم وعزتهم، ومدار كبريائهم. يرجع الفضل إلى

[1]من قصيدة "من المدينة المنورة.. إلى القدس" من ديوان "أغنيات الدم والسلام"، ص 59
ديوان "عبير الشرق" ص 28
قصيدة "مؤتمر القمة العربي الأول" من ديوان "ترانيم الصباح" ص 23

الشعر في تخليد آثارهم، كما إليه يرجع فضل البعث الأدبي الجديد بمرحلته الأدبية الجديدة في خدمة الحياة العربية لإثبات وجودها وتحقيق سعادتها.

لقد كان الشاعر العربي موضع دراسة ومجال بحث واهتمام وتفكير وقد استطاع الشاعر العربي منذ نشأته الأولى أن يؤلف بين القبائل المتفرقة المتنافرة المتدابرة، ولنا في معلقة زهير درسا في هذا المجال. فينزل القرآن بلغتهم لساناً عربياً مبيناً، ليفرض لغته التي تعم الجزيرة كلها وتنتشر في أجزاء الوطن العربي كله فتكون لغة الفكر والأدب والعلم. بل في أنحاء كثيرة من هذا العالم .

لقد عَمِلَ الشعراء العرب على توحيد العقل العربي، فكان الشعراء موضع تقدير ودراسة وبحث، لقد أتاح الشعراء العرب للغة العربية أن تكون لغة اجتماعية وأدبية وفكرية في مستقبل العرب وحاضرهم.

لعب الشعراء العرب دوراً كبيراً في الدعوة الموحدة للدول العربية والوحدة بين أجزاء بلادنا العربية التي فرض عليها المستعمر حدوده، ورفع فوقها شعاراته وبنوده، فخاض الشعراء معارك كثيرة واقتحموا صفوف أعداء الأمة، ونازعوا خصومها، وحاولوا السمو فوق الحدود المصطنعة والتجزئة المزيفة للواقع العربي، فكان الشعراء بذلك الدعامة القوية من دعائم الدعوة لبعث كياننا من جديد قوياً شامخاً سيد نفسه، كما كانوا الراية والنداء الذي جمع الشعراء أبناء العروبة ومن كافة أقطارهم يتذوقون من الأدب العربي ويتجمعون حول مصدره ونبع إلهامه.

شكل الشعراء العاطفة المتقدة للأمة العربية وجددوا من قواهم وواصلوا كفاحهم في سبيل السيادة القومية، أعادوا تحت ظلال الأدب تاريخاً حافلاً بالأمجاد، ولغة غنية زاخرة، وتراثاً أدبياً وفكرياً كان له في

عصور ماضية القيادة والسيادة، وحضارة أثرت في حضارات العالم كله، وكان لها فضل كبير في ميدان البناء.

لم يعد المجتمع العربي يتقبل من الشاعر الألفاظ المنمقة والمنسقة، بل أصبحت الأمة العربية تتطلب من الشاعر أن يكون الصدى والوجدان، ومرأى أفكارها وحياتها التي تحياها وتخوض غمراتها، وأصبح الشاعر يعيش مجتمعه بكل ما فيه، فيؤثر فيه ويتأثر، يشترك في توجيهه وقيادته بعقله وبعاطفته المتوقدة، فأفراد المجتمع إنما يقبلون على الشعر باعتبار أنه شعر كل فرد منهم، نابع من أحاسيسهم، وصدى لوجدانهم الجماعي، صادر من رغباتهم.

لقد تفاعل الشعراء مع ظروف الأمة العربية وكتبوا عن المشكلات والقضايا الاجتماعية، والسياسية المتعددة، التي خلقتها هذه الظروف فكان على الشعر أن يعيشها، وكان عليه أن يسجل نبضاتها ويرصد اتجاهاتها وينطلق في أجوائها، ويثبت وجوده في معركة تقرير المصير.

ولو تتبعنا الشعر العربي في كل مراحله التي مرّ بها، وتأثرنا خطواته صعوده وهبوطه، لوجدناه مرتبطاً بتقدم الأمة العربية وتأخرها لأنه ميزان أجوائها ومربع أمنها وسلامتها، عاصرها في كل خطوة خطتها، ولازمها في كل مرحلة اجتازتها حتى رأيناه ثانية يحاول بعثها من جديد مستمداً من تاريخه الطويل من الماضي الزاخر بتراثه، إن رسالة الشعراء العرب هي رفع الضيم عن الأمة وبناء كيانها شامخاً لا تؤثر فيه النائبات.

كانت فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية بالنسبة للبلاد العربية فترة حفلت بأحداثها السياسية والاجتماعية والفكرية، خاضها الشعب العربي كله وفي كل جزء من أجزائها يدافع عن وجوده،

ويحاول تثبيت كيانه، فاصطدمت آمال أبنائه بأطماع المستعمر ورغباته في تقييد حرية البلاد وفرض سيطرته عليها، وتعارضت رغباته مع رغبات المستعمر في التحرر والاستقلال، وتعددت دسائس الغرب ومكائده في تقطيع أواصر البلاد والقضاء على وحدتها.

لم يستطع الشاعر العربي أن يبقى بمعزل عن الأحداث التي كانت تحيط به كل جانب، ولا يمكن للشاعر إلا أن يعيش هذه الفترة بكل ما لديه من حواس، فهو فنان أو أشبه برجل ناضج في مرصد للنجوم يعكس في أسلوب معماره قوانين الكون الذي يعيش فيه، فكان لابد والحالة هذه أن يناهض الطائفية والانعزالية التي أخذت تنادي بها طائفة من ذوي المصالح الخاصة، وناهض التجزئة ونادى باحترام حقوق الإنسان وناصر مبدأ تقرير المصير، وقام بدوره بالنسبة لتلك الفترة في حركات التجمع العربي السياسي والأدبي، شهدت على ذلك مهرجانات كثيرة في ربوع القاهرة ودمشق وبغداد .

لقد اهتم الشعراء في فترة الإمارة الأردنية بقضايا الوطن و المواطن ومن القضايا التي نالت اهتمام الشعراء ، قضية الجهل ، لأنها تقود إلى الانصياع لرغبات الظالمين الذين يستطيعون السيطرة على عقول وثروات الاخرين .فإلى ذلك يشير الشاعر حسني فريز في قصيدته (بعض الناس) ومنها قوله:

يدافعونا بلؤم واللؤم فيهم سجية

ويغلبونا بجيش جنوده بربرية

ويدفعه خوفه على وطنه وأمته العربية، أن يهجو هذه الفئة حرصاً على مصلحة البلاد، فيقول:

أنا لست أهجو لأشفي غلول نفــس أبية

وإنما أنـا أخشــى علــى البلاد الفتية

على العروبة تشقـى بالحمق والمعمعيـة

أصليكم النار هـذي والنفس مني رضية[1]

وعندما وصل بعض الناس إلى درجة اللامبالاة، وعدم الإحساس بالآلام، وأصبحت العقول والقلوب خاوية مجدبة ، يقول:

كانت تلم النازلات وأنتـم تتصيدون المشتهي والأدعجا

فإذا دعيتم للذي هو قاصم لذتم بذي خنث أغن مزججا

ويلي أإنسـان أنا أم صخرة لا أشتكي همـا ولا أتعذب

مهما رأيت من المناكر لا أرى حقا أثور لأجلـه أو اغضب[2]

ويقول في غدار، صال وجال في مجتمع يسوده الجهل:

سرني أن تفيد علما وفضلا وتكون النقادة المختارا

وتصوغ الكلام في كل فن وتحوز العلوم والأشعارا

هكذا يا بني أنت مريض لست في الفن فارسا مغوارا[3]

[1] ديوان هياكل الحب، ص 175
[2] المصدر السابق، ص 211
[3] هياكل الحب، ص 184.

وأما الكذب والنفاق والتدليس، فهي من المعوقات التي تحول دون تقدم المجتمعات، وتولد الحقد والبغضاء في نفوس أبناء الشعب الواحد، ولذلك تناول الشعراء هذا الجانب الاجتماعي، وأولوه عنايتهم واهتمامهم. وللشاعر عرار، مواقف وتأملات، يظهر من خلالها استياءه ومقته لهذه العيوب الاجتماعية، ونجده يكشف حقيقة هذه الفئة المنافقة الكاذبة، ويرميهم بسهامه اللاذعة قائلاً:

لما رأيت الكذب سر تفـوق الفئة السرية

ورأيت كيف الصدق يذهب من يقول به ضحية

ونظر أحلاس الوظائف سـادة بين البريـة

أيقنت أن الألمعيـة في ازدراء الألمعيــة

وحللت عقلي من عقال الهاجسين بحسن نيه

ويدعو إلى التأمل في الأمور وعدم الانخداع بالمظاهر قائلاً:

لا تنخدع بالبنطلون ولا تثق بجمـال زيـه

ما كل زخرفة إبـاء وكـل خطـب عنجهية

كم فارس هو في الحقيقة عند راتبـه مطية

ومدجج قاد السرية وهو قـواد السـرية[1]

[1] ديوان عشيات وادي اليابس، ص 28

ويقول حسني زيد الكيلاني في أخلاق الناس ونفاقهم، وعدم وضع الرجل في مكانته المناسبة:

أعظم نفاقاً علـى نفسـي وتدجيـلا أصبحت بين ذئاب النـاس مـأكولا

وحطنـي أدبـي حتـى برمت به وصرت عنه بجلب الخبز مشـغولا

وضاع ما كان لي في الدهر من أمل وكيف أرجو لما قد مـر تـأجيلا[1]

وعندما أصيب الناس بالإحباط، نتيجة العوامل المحيطة بهم، سيطر عليهم الكسل والخمول، ومنهم من ترك العمل مستسلماً لمصائبه، في مثل هذه الأحوال، لا بدَّ للشعراء، وهم أكثر الناس إدراكاً للنتائج المترتبة، أن يحركوا الناس لمزاولة الأعمال، والبحث عن الرزق، وعدم الاستسلام للواقع الأليم، وحسني الكيلاني في قصيدته (الفلاح)، يحث بني قومه على استغلال الأرض وفلاحتها، ويبين فضل ذلك الفلاح الذي يشيد المجد للمجتمع، في حين يبقى في كوخه المتواضع ومنها قوله:

نبهك الشحرور في وكـره يا أنبل النـاس على فقره

تقلب الأرض ولا تـأتلي كراهب يبحـث في سفره

تمشي على كنز الدنى متعباً وأنت محسـود على تبره

إن لم تهش الناس في وجهه هش لـه العشب بمخضرّه[2]

[1] الحركة الأدبية في شرق الأردن، د. سمير قطامي، ص 94.

[2] من أعلام الفكر والأدب، محمد أبو صوفه، ص 171، والحركة الأدبية في بلاد الشام الجنوبية، حيا سليم رواشده، ص 357، وجريدة الجزيرة، عدد 1034، 1941/3/15.

وهذا نديم الملاح، يدعو قومه إلى استغلال الأرض وإخراج ثرواتها، وعدم الاعتماد على الآخرين في المأكل والملبس، وله في ذلك قصيدته (آه ممن تجددوا في السفاسف) ومنها قوله:

ألبسيني من الثياب بسـيطاً ليس فيه من الزخارف لـون

ألبسيني منـها نظيـفاً متيـناً إنما يحمد النظيـف المتين

عاونيني أجد في زرع أرضـي إنها لـي ذخر وكنز دفيـن

ألبسيني من نسجها ثوب عز وفخار بـه تقر العيـون

أطعميني من قمحها ودعيني عن دقيق يهشـه التلويـن[1]

ويدعو الملاح إلى الإخلاص في العمل، والمساهمة في رفعة الوطن وبناء المجد. فلكل دوره في البناء من خلال عمله وواجبه، وله في ذلك قوله:

كل حي يسعى ليلقـى مصـيرا فيه يستعذب المنـى والـهناء

وبنـاة الأمجـاد شـتى فبـان ليس يعلي وذاك يعلي البنـاء

وامض لا تحقرن منها صغيـرا فالدعامـات تعـوز البنـاء

رب شعب تمكن الضعف منـه فانبري يلتقي الأذى والفنـاء

وقوي يطـاول الدهر مجـداً والحصى كثرة ويزكو نمـاء

[1] ديوان نديم الملاح, ص 55.

ساعة الأقوياء عمـر شـريف وسنيّ الضعاف تمضي هواء

والإخلاص في العمل لا يكون من جانب واحد، فلا بدَّ من تكامل الأعمال مع بعضها حتى يتحقق التكامل البناء:

وإذا كنت عالمـاً أو أديبـاً فاخذق العلم واسبق الأدبـاء

وإذا كنت في الرجـال زعيماً فاركب الهول وأمجد الزعماء

وإذا كنـت قائـداً فاقتحـمها غمرات واكشف بها الغمـاء

وإذا كنت عاملاً فاسع حتــى لا ترى من وراء سعي وراء

وإذا ما صحبت فأصحب كراماً وتنزه أن تصحب اللؤمــاء[1]

وهناك بعض الأمراض الاجتماعية وقف عندها الشعراء ولم يتركوها دون أن تنال نصيبها من العلاج، كقول حسني فريز في البيع والتجارة وأساليب التجار في المراوغة وحلف الإيمان:

أعوذ بالله من شر الثيـاب ومـن شر الشراء وشر التـاجر الذرب

تلقاه يحلف بالرحمن ما ربحـت تلك التجـارة إلا أسوأ العقــب

وليس يلقاك إلا وهو مضطـرب يظل من خوفه في شـكل منتحب

يرنو إليـك بعيـن ملؤهـا أمـل وقلبه خوف فوت الربح في لـهب[2]

[1] ديوان نديم الملاح، ص 48.
[2] ديوان هياكل الحب، ص 206.

تتبين من خلال النماذج الشعرية التي سقناها على الواقع الاجتماعي في عهد الإمارة، أن الشعراء صوروا حال قومهم من خلال نفوسهم، فجعلوا من حالهم أمثلة لواقع مجتمعهم، وكانوا ألسنة الأفراد والجماعات، مدحوا من يستحق المدح من الكرماء والشرفاء، وعابوا البخلاء والمنافقين، وفتحوا عيون الشعوب على ما يخدم مصلحة أوطانهم، ونهوا عما يحط من كرامة الوطن والمواطن. وفي ذلك أداء للواجب الإنساني الشريف بوعي تام لحجم المهمة الملقاة على عاتقهم، في وقت لا يسمح لهم أن يقفوا موقف المتفرج على ما يدور وسط أهلهم وأمتهم.

الفصل الثاني

الشعر الوطني في الأردن

الفصل الثاني

الشعر الوطني في الأردن

==========

حفلت فترة الدراسة باضطرابات وقلاقل وثورات متصلة، الأمر الذي نتج عنه غزارة الإنتاج الشعري الوطني، الذي يستمد وحيه وقوته من هذه الحركات التحررية. وكان لهذه الأحداث، صداها في نفوس المجتمع عامة، والشعراء على وجه الخصوص.

ولا شك أن الحوادث والأزمات التي شهدتها المنطقة، كالحكم العثماني، الذي عمل على طمس الشخصية العربية ، والثورة العربية التي تعطش لمثلها أبناء هذه الأمة، والقحط والجفاف والفقر الذي أصاب البلاد، والاستعمار الأوروبي، والكيان الصهيوني، كل ذلك ساهم في إشعال الحركة الوطنية، وأخذ بيد الشعراء الذين عبروا بلسان الواقع عما تعيشه البلاد. ولا أجدني مغالياً إذا قلت أن فترة الدراسة كانت من أخصب الفترات اضطراباً، مما يؤشر إلى خصوبتها فكرياً وشعرياً. فلو عدنا إلى ما قبل الثورة العربية الكبرى، لوجدنا أنها فترة إمتداد لسبات عميق، غطت به الأمة، وسلمت أمرها للقيادة العثمانية التي استمرت عدة قرون، وإذا تقدمنا إلى ما بعد فترة الدراسة . الخمسينات وما بعدها – لوجدنا أن المنطقة تعرضت لأحداث كثيرة أيضاً، ولكن لم يطلق العنان لأصحاب الفكر، فقد قيدهم الواقع السياسي بمسار معين، لا يبتعد عما يرضي القوانين والحكام. فرعاية الأمير عبدالله للحركة الشعرية والأدبية، فترة الإمارة، كانت حافزاً لظهور حركات شعرية، تتفاعل مع المحيط الذي تعيشه، لتشارك في مختلف المناسبات العربية والمحلية، خصوصاً عندما كانت تعمر مجالسه بحلقات الشعراء الأردنيين وغير الأردنيين، ممن وفدوا إلى الإمارة، يحدوهم الأمل بالأمير الذي أحب الأدب عامة، ومجالس الشعراء خاصة. أقبلوا وهم على يقين بذوقه الأدبي الرفيع فمنهم من قدم من لبنان،

ومنهم السوري والعراقي والفلسطيني[1]، وغيرهم ممن ساهموا في إعمار الحلقات الشعرية التي نتج عنها منظومات وطنية، تنم عن الإحساس الفعلي الذي يتملك أفئدة الشعراء.

سلك الشعراء بقصائدهم الوطنية كل مسلك رأوا فيه الخير والفائدة للأمة، فدعوا إلى حماية البلاد وطرد المستعمر والسعي لنيل الحرية، بالإضافة إلى وصف الجرائم والأعمال المرتكبة بحق الشعوب، ووصفوا المعارك والبطولات التي خاضها أبناء الأمة، دفاعاً عن بلادهم. ومن الجوانب الوطنية الهامة التي شغلت الشعراء، وكانت أمنية كل عربي، الوحدة العربية ولم الشمل. وللوقوف على ما قدمه الشعراء الأردنيون في هذه المعاني الوطنية، لا بد من التأمل في بعض نماذجهم الشعرية التي ساهمت في خدمة القضية الوطنية الأردنية والعربية.

أ- شعر الجهاد والدعوة لحماية البلاد

عمل شعراء الإمارة ما بوسعهم من أجل صمود الشعب ومواجهة الأزمات، ودعوا بكلماتهم إلى الذود عن الحمى وطرد المستعمر من البلاد، بالإضافة إلى رفض الذل بجميع أشكاله، وقد أشار عرار إلى ذلك بقوله:

من لم يكن ذئبا فإن زمانه يغرى به العشرات من ذؤبانه

يا ويح أجنحة الخيال فإنها تغتال طائرها بريش سنانه[2]

[1] انظر إتجاهات شعراء شمال الأردن، د. محمود مهيدات. ص 40 وما بعدها. وأنظر الحركة الشعرية في بلاط الملك عبدالله. د. تركي المغيض، ص 139 وما بعدها.

2 ديوان مصطفى وهبي التل، عشيات وادي اليابس، ص 118.

أحسن الشاعر حين سخر المثل القائل: (إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب) لخدمة قضاياه الوطنية، وتقريب ما يصبو إليه من أذهان الناس، بأن من أراد الحياة الكريمة لا بد أن يعمل من أجلها، ومن أراد نيل الحرية، لا بد من الإعداد لمقارعة الخصوم، والتصدي للظلم، وإلا كان فريسة سائغة للذئاب.

كان الشاعر مصطفى وهبي التل (عرار) وجهاً بارزاً من وجوه الشعر الأردني والعربي، وأحد مؤسسي التيار الوطني والإنساني في الشعر العربي الحديث. عاش حياته ثائراً متمرداً على الواقع والحياة.

وجد أمته في بدايات هذا القرن ترزح تحت نير الإحتلال، فدعاها إلى الحرية والاستقلال... وجد الإنسان مكبلاً ضعيفاً؛ فدافع عن حريته ورفض الظلم بشتى أشكاله، وقد تضوع في شعره روائح الدحنون في سهول الأردن وروابيه.. وغرّد في وطنه، وحلّق في كل البراري والبوادي والمدن، مستمداً حبه من ترحاله وأرضه وحب أبناء وطنه الكبير، كما أن وعيه المبكر أعطاه أملاً في البحث عن مواقف محبته لإنسانية وقدسية الإنسان بمختلف فئاته. وفي أحلك الساعات التي تمر به لم ينس وطنه وأمته، بل ظل فؤاده شغوفاً بهم، متتبعاً ما يجري فيه من حوادث الثورة على الانتداب وامتهان كرامة الإنسان، ولقد مثل صفحة مضيئة من صفحات الشعر العربي المليئة بالإبداع والإلتزام والمعاناة الصادقة، والحضور الفاعل، والإلحاح الصاخب على حياة الإنسان الممتهنة وعلى حقوقه الضائعة، وبلغ من حبه لوطنه مبلغاً جعل البعض يتهمونه بالإقليمية الضيقة.

ولم يكن عرار بمنأى عن أماني قومه وأحلامهم في مجتمعه العربي الكبير، فكان نطاق ثورته أوسع مما يظنه الآخرون، إذ ثار على المستعمر أينما حل في بلاد العرب، وسفه المهادنين له بكل جرأة، وقد عُرف عنه هذا الشعور القومي مذ كان في مَيْعَةِ الصبا، أيام كان طالباً في مدرسة عنبر بدمشق يحرض الطلاب

على الإضراب ومجابهة المهادنين للمستعمر الدخيل[1]، إضافةً إلى مشاركته في بعض الجمعيات القومية السرية، وقد تحمل الطرد والنفي في سبيل الأماني العربية التي كان يدين بها، وكان طرده من مدرسة عنبر في دمشق إلى المدرسة السُلطانية في بيروت أول حدث سياسي في حياته[2].

وكان من الداعين إلى الوحدة العربية، ونبذ أسباب الفرقة، ولطالما حذر بني قومه من عواقب تفرق أمرهم. ويتضح هذا بقوله مرحباً بفوج من شبيبة فلسطين زار إربد، داعياً إلى نبذ الفرقة ،يقول[3]:

أني أرى سبب الفناء وإنما سبب الفناء قطيعة الأرحـــام

فدعوا مقال القائلين جهالة هذا عراقي وذاك شآمـــــي

وتداركوا، بأبي وأمي، أنتم أرحامكم برواجح الأحـــلام

وكما حمل عرار على المستعمر الدخيل، الذي أمعن في إذلال شعبه، فقد شنها ثورة عاتية على من كمموا الأفواه في الداخل، وساموه سوء العذاب، وغضوا الطرف عن أوجاعه، فكان ثورة عليهم ما انكفأت رأيتها إلا مع آخر نفس من أنفاسه، وإن ظل صداها ماثلاً في شعره. وقد كان نصيراً لفئة المغلوبين من شعبه، يَحْدِب على الأيتام، ويناصر المظلومين، وعلى قدر حدبه عليهم كان سخطه على القائمين عليهم من حكام، ونواب، وتجار، وممن ثَمِلوا بكأس عذابهم، ورقصوا على أنغام أناتهم. ومما يؤكد هذا الجانب القومي الرقيق في شخصه قول الأمير عبدالله – آنذاك– فيه: "إنك يا (مصطفى) لمجموعة من متناقضات تعتز بها في

[1] البدوي الملثم، عرار شاعر الأردن: 25.
[2] نفسه: 282.
[3] عرار، عشيات: 314.

عيني: الصَخَب والشَغَب، والرضى بعد الغضب، خصم الأقوياء، رفيق الضعفاء، كريمٌ في فاقة، نهابٌ وهّاب، فقير في نفسك، غني في صحابك.. إذا مات خصمك رثيته، وإذا احتبس عليك ربما هجوته.."[1].

وفي شعره نرى أن هموم الإنسان هي هموم الوطن، هي المعاناة من المستعمر، فتحدث عن الوطن والمستعمر، فجاءت قصائده رائعة التصوير، بارعة المعاني والنكتة الساخرة، فيها خفة روح ودعابة، فكان حاضر البديهة رقيق الشعور، وغالباً ما كان يخفي وراء ذلك كله غمّاً وهمّاً[2]:

يا رب إن بلفور أنفذ وعده كم مسلم يبقى وكم نصراني

وكان مسجد قريتي من ذا الذي يبقى عليه إذا أزيل كياني

وله في استنهاض الهمم من أجل تحرير النفس والذود عن العرين قوله:

فانقض غبار الذل عنك وعن قضيتك المبينه

وأقبع لوحدك إن سمعت بمرتع بالرعي دونه

فالعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه القرينه

والموت جد والحياة بمن يحاولها قمينه

والليث ملك في السباع لأنه يحمي عرينه[3]

[1] البدوي الملثم، عرار شاعر الأردن: 195.

[2] عشيات وادي اليابس، تحقيق زياد الزعبي، المؤسسة الصحفية الأردنية، 1973، ص5.

3 ديوان مصطفى وهبي التل، عشيات وادي اليابس، ص 91–92.

رفض عرار أن يعيش شعبه كالعبيد في بلادهم، وإنما أراد لهم حياة كريمة كالليث في عرينه. فقد أدرك أبعاد الخطر الاستعماري وأساليبه في الاحتيال بتوقيع العهود والمواثيق، فراح يوجه النصح للحكام بعدم الاطمئنان لما يقولون، ثم يؤنب الذين يتخذون البكاء وسيلة للتعبير عن حزنهم على ما أصابهم ، دون عمل أو مواجهة، وقد أشار إلى ذلك في قصيدته (سكر الدهر) ومنها:

هية يا رمز الأماني والمنى إنهم حيات رقطاء تفح

لا يغرنك تقبيلهم يدك اليوم وتقريظ ومدح

فغداً سوف ترى موقفهم منك يا مولاي إن أبرم صلح

فثرى الأردن إن لم يرو من مائه الفياض لن يرويه ميح

ونذرت الصمت لما قيل لي من يقول الحق يؤذي ويدح

أنا إن أصمت فصمتي حسبه إنه صوت الأرقاء الأبح

أيها الباكي على أوطانه لا يرد الروح للميت نوح

بارك الظلم وصفق للأذى فهما نصر من الله وفتح[1]

1 عشيات وادي اليابس، ص 91–92.

وحبه لوطنه ولد في نفسه العزيمة والتصميم على إيصال صوته لذوي الشأن بجرأة وشجاعة، حين يصرخ في قصيدته (بقايا ألحان وأشجان) قائلا:

سيمت بلادي ضروب الخسف وانتهكـ ت حظائري واستباح الذئب قطعاني

وراض قومي على الإذعان رائضهم على احتمال الأذى من كل إنسانِ

فاستمرأوا الضيم واستخذى سراتهم فهاكهم، يا أخي، عبدان عبدانِ

مولاي شعبك مكلوم الحشاد به من غض طرفك والإهمال داءان

مولاي إن المطايا لا تسير إلى غاياتها إن علاها غير فرسان

لقد تنكر لي أهلي وأنكرني صحبي وأقرب من أدنيت أقصاني

أقول هذا صادق صديق فإذا بعد التجارب بي أمني بخوان[1]

وبعيداً عن العواطف والميول، نقولها صراحة، أي شاعر عصري يستطيع الوقوف في وجه حاكمه، معلنا عدم اهتمامه بشعبه؟ وأي أخلاق يتصف بها هذا الحاكم حتى يتقبل مثل هذا النقد؟ إنه عرار شاعر الأردن بلا منازع، وإنه أمير الأردن (عبدالله بن الحسين) صاحب الذوق الأدبي الذي يثمن إحساس الشعراء، ويقدر مشاعرهم. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المصداقية التي تميز بها الشاعر وما تميز به شعره

1 عشيات وادي اليابس، ص 215 وما بعدها.

من صدق يعكس أفكار الشاعر وأحاسيسه المستمدة من جرأته ومساحة الحرية التي منحها الأمير عبدالله للشعراء.

لا يأبه عرار بما يصيبه من سجن ونفي وعزل عن العمل، كان همه إثارة الحمية والدعوة إلى الثبات لتحقيق النصر المحالف للأحرار. وله في ذلك قوله:

وعش رغم القوانين التي آذتك سلطانا

فمثلك من تمرد كلما ساموه إذ عانا

لعمر الحق لن يتنكب الإخلاص خذلانا

وسوف يظل سيف النصر للأحرار معوانا

وقل إن قيل لا عفو لعل العفو لا كانا

فعين العزم ترمقنا وعين الحزم ترعانا[1]

ساهم الأمير عبدالله بن الحسين، كغيره من شعراء الإمارة، في إثراء الزاوية الوطنية. فله في استنهاض الهمم والحث على الصمود والذود عن الأهل والمحارم، قصيدة (الصورة) التي قالها ولوعة الوطن تأخذ منه كل مأخذ، وهذه القصيدة موجهة إلى أخيه فيصل، ومنها قوله:

ولا شك أن الله ناصر حزبه وخاذل من آذى البلاد وخربا

1 عشيات وادي اليابس، ص 118.

فأول أرض مس جلدك تربها لقد أصبحت للخصم ملهى وملعبا

وإن أعزاء عليك ونسوة يهيمون في الآفاق يبغون مهربا

فما عذرنا إن لم نكن عند خوفهم أمانا لهم نستهل الموت مركبا

ويا رب شيخ بات كالطفل واهنا ويا رب طفل بات كالشيخ أشيبا

ينادون هل من ناصر أو مدافع يفك أسارا أو يحقق مأربا

فحاشاك أن ترضى وأرضى ونرتضي بذلك ذلا يجعل الظهر أحدبا

وإن عدو الله حارت أموره وأصبح بعد اليأس خزيان أجربا

لعل جوابا منك يطرق مسمعي قريبا فإن النصر قد بات أقربا[1]

وله في وصف حال الشام وهي تصرخ وتستغيث مما أصابها من ألوان الاضطهاد والإذلال نتيجة الاستعمار، فيعجب لحال الأمة لاهية غافلة عما يجري حولها، وها هو يستثير حميتهم، ويشحذ هممهم لإنقاذ هذه البلاد بقوله:

بل ذلك الصوت نوح الشام يرسله للعرب مما دهاه ملؤه الوجل

يقول أن سراة الشام ظاعنة ترجو المتون وهم لم يعدهم دخل

ليس ورب الصفا والبيت راضية يملك علج عنيف ملؤه الخجل

يسوقهم بسياط الذل مطمحه للغدر ينكر ما جاءت به الرسل

1 الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين، الدار المتحدة للنشر، ص 539–540.

وأنتم يا سراة العرب مالكم إن النفوس لعز الدين تبتذل

فكيف ترضون أن تبقى بلادكم بالذل محتلة سكانها خول

فليخبر القوم أنا لم نحل أبدا عما بنينا وهم عنا قد اعتزلوا[1]

وعندما دعي من قبل أهل الشام لنصرتهم وإنقاذهم، لبى النداء، وهب بجيشه من الحجاز متوجهاً إلى (معان) في الأردن، تاركا خلفه من اعتقد فيهم الصلاح[2]، ولكن الأمر كان خلاف ذلك، فعقوا وحاولوا الإفساد والعبث في البلاد، فقال معبرا عن معاناته في مواجهة هذه المواقف الحرجة:

ذكرت منازلا بجوار وج[3] فحييت المنازل والديارا

منازل أصبحت منا خلاء وقد كانت لنا أبدا قرارا

نزحنا تاركين بها رجالا من الأعوان خلناهم خيارا

نزحنا كي نناضل عن بلاد لمحنا للعدو بها شرارا

وكان نزوحنا أنا دعينا فلبينا نداء من استجارا

فكان جزاؤنا ممن تركنا ببلدتنا عقوقا لا انتصارا

1 الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين، ص 563.

2 أنظر. CAMODS-Jordan Arab Nationlism. Suleiman Moua P. 127

3 وج: وادي الطائف في الحجاز.

وكان جزاؤنا ممن دعانا خلافا واضحا وأذى جهارا[1]

نلاحظ أن الشاعر كان واقعيا في قصائده، فتحكي لنا معظم أشعاره تجربة فعلية مر بها الشاعر، أو واقعة شاهدها في مجتمعه، مما كان له الأثر في نفوس الناس عامة، والشعراء على وجه الخصوص، فيقبل العامة على الأخذ بما يدعو إليه الشاعر، إيمانا وتصديقا بما يقول، وتكون قصائده قدوة لغيره من الشعراء.

ويجد الشاعر في التاريخ الإسلامي، ومواقف المسلمين، أمثلة واقعية تصلح أن تكون عبرة نستفيد منها عندما يضع بين أيدينا تلك الانتصارات، في بدر والأحزاب وغيرها، لنأخذ منها أروع الأمثلة في الصمود ورفض الذل حيث يقول:

وفي أحد وخيبر مع حنين هدمنا الكفر نسفا واضطلاما

وفي الأحزاب موقفنا منار بحيدرة كفى الله الصداما

ثم ينتقل بقصيدته إلى عصرنا الأخير، ليعرض مظالم الترك وفسادهم في البلاد قائلاً:

وفي العصر الأخير وقد رأينا طغاة الترك تضطرم اضطراما

فتسبي العرب ما شاءت وتقصي ولم تبقي الأرامل والأيامى[2]

1 الحركة الشعرية في بلاط الملك عبدالله. د. تركي مغيض، ص 61.

2 الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين ص 569.

ومن شعراء الإمارة الذين عرفوا قيمة الوطن وما يحدق به من أخطار، ورأى من واجبه أن يشهر سلاحه الشعري في وجه الإستعمار والطغيان، حسني فريز، الشاعر الذي تلمس المصائب والأخطار، ولم يتوانى عن الدعوة للصمود، وتقريع من يتخاذل عن الوقوف في

وجه الاستعمار كما في قوله:

بلادي أينما وجهت وجهي أرى لك صيحة و أرى مصابا

فمن ألقاه في هذا و هذا تعالوا نفهم الحق اللبابا[1]

ومما قاله مستصرخاً الجيوش العربية عامة، مثيرا الحمية والنخوة في النفوس:

يا جيوش العرب ما هذا الونى في المهلكات

أين ذاك العزم والحزم وخوض الغمرات

أين خوض الليل والويل ورقد الجمرات

ويمضي في قصيدته مستعرضاً ما أصاب الأمة من إذلال وقتل وتشريد وانتهاك إلى قوله:

ما تقولون إذ عدتم بخسر وشتات

ما تقولون لأمات عرايا باكيات

ما تقولون لآلاف الضحايا الصارخات

[1] الحركة الأدبية في الأردن . د سمير قطامي ، ص 85.

أين دفع الغار والذل وتوهين العداة[1]

يؤمن الشاعر بأن القوة خير وسيلة لإثبات الوجود وصون الحرمات، لذلك نجده ثائرا في كثير من قصائده الوطنية، يدعو إلى المواقف الشجاعة واقتحام الأهوال، فالدنيا لا تكون إلا للشجاع المهاجم كما في قوله:

ما لفخر إلا للشجاع وللمهاجم ذي الوثوب

ما كل بوم تنجب الدنيا فحولا للحروب[2]

نلاحظ أن الشاعر لم يتميز بالثورة والجرأة فحسب، وإنما يزين ذلك قوة العبارة وسلامة الأسلوب، ونلمس أن الأبيات تصدر عن شاعر على مستوى من الثقافة والإطلاع.

أما عبد المنعم الرفاعي، فقد شارك أبطال الأمة بالقول والعمل، وقصائده شاهدة على مقدرته في إدراك الأمور وتقدير حجم المسؤولية، وجراحه التي أصيب بها على أرض سورية، دليل قاطع على دوره الوطني وصدق عواطفه التي اشتملت عليها قصائده المتنوعة[3].

يجسّد شعر عبدالمنعم الرفاعي صورة الشاعر المنفعل بقضايا أمته ووطنه، وحقيقة الصوت الشعري العاشق للإنسان والمكان فقد غدا النص عنده علامة دالّة على تفاعله الحميمي مع معطيات الوطن والأمة

1 ديوان هياكل الحب، حسني فريز، جـ2 ، ص 71.

2 ديوان هياكل الحب، ص 72–73.

3 أنظر عبد المنعم الرفاعي حياته وشعره، محمد أحمد موسى، ص 95، وأنظر الحركة الشعرية في بلاط الملك عبدالله، تركي المغيض، ص 123 وما بعدها، والحركة الأدبية في الأردن، سمير قطامي، ص 94.

معبرة عن شاعريّة تفيض بالأضداد والبوح الانفعالي فجلّ شعره يدور في إطار الوطن والهمّ الوطني (للأمة العربية بشكل عام وللقضية الفلسطينية بشكل خاص)، فالشاعر يكون رافضاً وثائراً، مثلاً، عندما يجد أمته تعيش مرحلة التحوّلات السالبة من ظلم وخذلان ونكبة وضعف وفساد، الأمر الذي يجعل القصيدة عنده أداة لاستنهاض الهمم، ووسيلة لتعزيز قيم الرفض للمتحول السالب. نجد هذا الرفض، مثلاً لا حصراً، في قصائده التالية: ثورة العرب، وذكرى دمشق، وانتصار الجزائر، ووطن الفداء، ونكبة سوريا، والبطل، وفي الدفاع عن القدس وفلسطين واللاجئ وغيرها، وأما صور الانتماء الإيجابي للوطن (الأردن)، فإنها تتعدّد في ديوان الشاعر كما تدلنا على ذلك تلك القصائد التي قالها في هذا المجال والتي من خلالها يدرك المتلقي لأول وهله، أن الانتماء قد أضحى أصيلا في فكر الرفاعي في المعتقد والموقف والسلوك; فالشاعر يشكل نموذجاً إنسانياً يحفز الآخر على تمثله والاقتداء به. فمثلاً عندما نفحص موضوع الانتماء عند الرفاعي، نجد تجذيراً حقيقياً لصورة الذات المادحة والمنتمية التي تحمل همّ الوطن وهاجس التوحّد مع كل ذرّة من ترابه، ولا أدلّ على ذلك من قصائده التالية: نشيد السلام الملكي وتحيّة العلم وقصيدة عمان، وقصيدة في معان، وقصيدة على ظهور الخيل وقصيدة في وادي الموجب، وقصيدة مرابع الغور، فهو الشاعر الذي داعب مشاعرنا ونحن نمتلك قلوبا خضراء للقائد والوطن، حينما حفظنا له وردّدنا:

نشيد السلام الملكي الأردني: (من الرمل)

عاش المليك عاش المليك

ساميا مقامه

خافقاتٍ في المعالي أعلامه[1]

ونشيد العلم: (من المتدارك)

خافق بالمعالي والمنى

عربيّ الظلال والسنا

في الذرى والأعالي

فوق هام الرجال

زاهيا

زاهيا

أهيبا

حيّهِ في الصباحِ والسُّرى

في ابتسام الأقاحِ والشذى

يا شعارَ الجلال

والتماعَ الجمال

[1] شعر عبدالمنعم الرفاعي 269.

والإبا

والإبا

في الربى[1]

فشاعرنا شاعر قضيّة حمل هموم الأمة والوطن على كاهله منذ ريعان الشباب، إذ تفتّحت عيونه على أسرة سياسية وتقلّد مناصب سياسيّة ، لهذا لم يكن مستغرباً أن يعبّر عن تلك الهموم شعراً، حتى أصيب في سوريا برصاصة الاستعمار[2] بعد أن شيّدت ألفاظ الثورة والمقاومة والحريّة ثقافته، فهو الشاعر المناضل القومي الوطني الغيور على هذه الأمّة، الهاتف من الأعماق، ومن قصائده في ذلك: انتصار الجزائر ونكبة سوريا وأغنية فلسطين[3]. فالشاعر لم يعش بمعزل عن قضايا الأمة وما تعانية من مشكلات جرّاء الاستعمار، كما لم يكُن بعيداً عن سعيها للخلاص مما يضيّق عليها حدّ الحريّة ويسلبها حقوقها البسيطة; ولهذا فقد استحوذت الألفاظ السياسيّة الداعية للثورة والانقضاض على الاستعمار على مساحة واسعة من معجمه السياسي، فالاستعمار والاحتلال يمثلان الهاجس الملحّ على ذهنه

يقول في قصيدة المسافر:

أغَرام ومَوطِني يَتَنزّى عن شهيدٍ مُضرّجٍ وشريد

وعَذاراه في (الإسار) سبايا بين حُمرمن الدموع وسود

[1] شعر عبدالمنعم الرفاعي 304.
[2] مقدمة تحقيق شعر عبدالمنعم الرفاعي نقلا عن: مذكرات الرفاعي: الأمواج ص 15-16.
[3] شعر عبدالمنعم الرفاعي على التوالي: 131،194،79.

دُمِيَتْ جَبهةُ الإباء ومالتْ خلفَ أعلامِها سرايا الجُدود

فانتفَضنا على أنين الضحايا وحَطمْنا مُمَنّ عات القيود

وبذّلنا الفداء من كل عرق عَرَبي الدماءِ صافي الوريد[1]

فالمتأمل في هذه الأبيات يقرأ وطنيّة الرفاعي ويرى ذوبان حدود الإقليمية بين أقطار الوطن العربي في ضمير الشاعر ووجدانه، كما تذوب الأبعاد، وتنصهر المسافات فهو غيور على الوطن الجريح وعذراواته وضحاياه لذا ثار مع أبناء أمته العربية من كل عرق ودم.

أمّا القضية الفلسطينية فمنذ استعمار فلسطين "اقترنت الكلمة بالرصاصة وجعلتها أكثر حضورا وفاعلية وأضحت فلسطين بؤرة نضال قومي ينشر ناره في كل بقعة عربية اللسان إسلامية العقيدة، فهي عقدة الإنسان العربي وعقيدته منها يبدأ وإليها ينتهي، والأردني كان وسيبقى منذ البداية وإلى النهاية الأشد التصاقا بفلسطين وارتباطا بنضالها ليس بحكم الجغرافيا والدم فقط بل بحكم الرؤيا والموقف"[2]، والرفاعي من الأردنيين الذين جسّدوا الصراع الفلسطيني العربي– الاسرائيلي ونطقوه شعراً; حتى قيل إن "شعره يحمل روح المقاومة ويدعو إلى تفجير طاقات الأمّة وقواها ويحفزها ويحثها على النضال، فتحوّل الأدب عنده إلى مفجّر للفعل ودافع إليه فصار شعره أداة جذّر فيها صورة الوطن والفداء والحرية"[3]، ومن قصائده في فلسطين ولأهلنا في فلسطين: وطن الفداء، نضال فلسطين، اللاجئ، ثورة اللاجئ، أغنية فلسطين، نشيد الفدائي وغيرها. ومن شعره يخاطب فلسطين: (من الخفيف)

[1] شعر عبدالمنعم الرفاعي 33-34.
[2] الزعبي، قراءات ومقالات 21/20.
[3] الزعبي، قراءات ومقالات 21 ومابعدها.

يا فلسطين ما عليك جُناح هذه نَزْلَةُ القضاءِ المُتاح

هذه زلةُ العروبة لمّـا كَذَبتْ في جهادها والكفاح

يوم أن شكّت السلاح خداعا يا لَخزْي الوِغى وخزي السّلاح!!

قصفتْ عمري الحوادثُ تترىولحاني فيما عراني اللاحي[1]

ومن قصائده يتأسّى على فلسطين قوله: (من مشطور الرمل)

وفلسطينُ على كل لسان في صهيلِ الخَيلِ أو لمعِ اليماني

ذهَبتْ إلا بقايا للعيان خَلفَ أشباه خيام وماني[2]

وقد جسّدت كثير من قصائده اتجاهه القومي; ذاك أنها عالجت كثيراً من قضايا الأمة العربية معالجة جريئة تنطلق من أيديولوجيّة سياسية أساسها الإخلاص والوفاء والانتماء للقوميّة العربيّة; ولهذا كانت أغلب قصائده تنهض بالمواضيع السياسية –وما أكثرها– وتتسم بوضوح المدلولات ووضوح المراد، فكثيراً ما كان يذكّر ب"العروبة" و"الحق"

ومن مظاهر وطنيّة الرفاعي وقوميّته العربية أمران أولهما: أنه قام على ذكر أسماء لأعلام وشخصيّات أردنية ووطنية وعربية سياسية وثقافية في شعره، وعلى رأس هؤلاء:

[1] شعر عبدالمنعم الرفاعي 113 وما بعدها.
[2] شعر عبدالمنعم الرفاعي 117 ومابعدها.

من السياسيين: الملك عبدالله الأول ابن الحسين[1] ولا أدلّ على ذلك من مطارحاته ومعارضاته معه، والملك الحسين بن طلال وقد مدحه الرفاعي في قصائد عدّة منها: طلعة الملك وقصيدة الخمسون[2]، فمن قصائده في الملك عبدالله الأول قوله: (من الوافر)

أَأُرسلُ فيك يا مولاي شعري ومنك أشعةُ الإلهامِ تسْري

عَرفْتُكَ يا أميرَالعرب مما بدا في الكون من فن وسحر

سليل المصطفى أعظِم ببيت حوى التاريخ عصرا بعد عصر

حماكَ الله صقرَ بني قريش ترفّ على البلاد من المقرّ[3]

ومن شعره في الملك الحسين قوله: (من الخفيف)

يا مليك الحمى وحلم الليالي قد بلغنا على يديك منانا

ورأينا في وجهك الطلق دنيا من جمال ومطلعا فتّانا

سيدي سيدي فديتك إني من ضلوعي أزفك الألحانا

صاحب التاج عزّة وشبابا لست ترضى على الحمى أن يهانا[4]

كما ذكر جمال عبدالناصر[5] ومن رثائه فيه قوله: (من البسيط)

[1] انظر قصيدته في الملك عبدالله الأول في شعر عبدالمنعم الرفاعي 248 ومابعدها.
[2] شعر عبدالمنعم الرفاعي 283.
[3] شعر عبدالمنعم الرفاعي، 284 ومابعدها.
[4] شعر عبدالمنعم الرفاعي 76 ومابعدها.
[5] شعر عبدالمنعم الرفاعي 149-152.

جمالُ، يا مُنْيَةَ الشعب الذي دمِيَتْ أكفُّهُ وبراه في السّرى سَفَرُ

مَنْ ذلك الشاهقُ الجبّارُ أنجبَه وادي النّدى وَنمتْهُ في العُلى مُضر

قضى جمالُ وناح السدُّ وانتحبتْ على صدى نوحهِ الأهرامُ والعصرُ

قضى جمالُ وماجَ الشعبُ في هَلَع كالبحر مصطخِبا والسيل ينحدِر [1]

والقضية الفلسطينية من القضايا التي تبناها الشاعر، فاستحوذت شعوره وإحساسه، وشعره فيها يكاد يطغى على غيره من قضايا الأمة التي عالجها بقصائده. وقصيدته (فلسطين الدامية بين الجلاء والتقسيم)، التي نشرت في صحيفة الجزيرة سنة 1947م، من أجمل القصائد التي يدعو فيها الشاعر إلى الصمود وحماية البلاد، ويخاطب الاستعمار قائلا:

أتركي للطير أرجاء الحمى والضحايا لنسور الملعب

وارحلي طال عليك المشتكي وإذهبي عن منزل الوحي إذهبي

لا تبالي أي كفيك جنت غلب المظلوم أم لم يغلب

لطخت أيديك آثام مضت فاغسليها بدماء العرب

قد تمرسنا الأذى بعد الأذى وابتلينا نوبا في نوب

[1] شعر عبدالمنعم الرفاعي 150 وما بعدها.

وأقمناها خروبا مرة قذف الشرق بها بالمغرب

فارجعي لا تذرفي دمع النوى تلك عقبى الخاسر المغتصب

ثم ينتقل الشاعر إالى تأنيب من تركوا أرضهم وفروا من وجه الاستعمار الذي يسعى لإخلاء الديار من أصحابها، فيقول:

كيف خليت الحمى الزاهي الرؤى والمغاني والجمال اليعربي

وأضاحيك في مهد التقى وعشياتك في مسرى النبي

وطن أعظم به من وطن مرتع المجد ومهوى الأدب

وطن الإباء من أولى به تلك حطين سليها تجب

ولكنه يطمئن فلسطين بأنا على استعداد لتحمل الصعاب والشدائد، وبذل الأنفس من أجلها بقوله:

ما علينا والضحايا دأبنا إن توالت موكبا في موكب

يا فلسطين وفي الموت لنا مطلب دونك أشهى مطلب

قد شربنا ورده مستعذبا وسقيناك المنى فاستعذبي

ويمض في قصيدته، فيخاطب الاستعمار بعنف وسخرية، متحديا ومذكرا بتاريخ الأمة الحافل بالإنتصارات إلى قوله:

خسئ الباغي فما فيك ثرى مستباح مستهان المركب

أمن الأحقاد الوهم بنوا دولة، يا سوءة المنقلب

وعلى التاريخ كم من حملة ردها رجع جهاد العرب

فتوارت خلف أبعاد المدى غيبتها باليِات الحقب

لن يموت الشرق والشمس التي أشرقت من أفقه لم تغب[1]

إنه شاعر المواقف الوطنية، وصاحب المبدأ النضالي الذي يسري في دمه منذ نعومة أظفاره، يجود بدمه لحقن دماء الآخرين، يأبى الذل والخنوع ولا يقبله لأمته، يتمسك بحقه بعزم وشجاعة، لذلك جاءت أبيات القصيدة تزخر بالمعاني الوطنية التي تنادي برحيل الاستعمار، وثبات الأهل وصمودهم، ويبعث الأمل في النفوس بعد أن أصابهم الإحباط واليأس، فلا بد لنور الشرق أن يسطع من جديد، وفي هذا رفع للمعنويات وشحذ للهمم.

وعيسى الناعوري، له مساهمات غنية في هذا المجال، وأهم هذه المساهمات، مطولته التي تعد **من** أروع ما قاله في الإتجاه الوطني، فكانت محاولة لنظم تاريخ الجهاد الفلسطيني، منذ الثورة العربية الكبرى، وحتى ثورة فلسطين سنة 1936م. ولكي لا تكون القافية عقبة في وجه جودة المعنى، لم يلتزم فيها بقافية

1 جريدة الجزيرة، عدد، 1203، 8 كانون أول، 1947م، والحركة الشعرية في بلاط الملك عبدالله، د. تركي المغيض ص 125، وعبد المنعم الرفاعي حياته وشعره، محمد أحمد موسى ص 227.

موحدة، وإنما أباح لنفسه اختلاف القافية في القصيدة الواحدة، بحيث تشتمل كل مجموعة من الأبيات على قافية تختلف عن قافية الأبيات التي قبلها أو التي بعدها. ومن هذه المطولة قوله تحت عنوان (نقمة):

يا بلاد الأحرار كم هاجك الظلم وضجت فيك جراح الآباء

لا تنامي على الهوان فإن المجد سيف مخضب بالدماء

فيك شعب قد تيمته البطولات فهيجي لعهدهن حنينه

فالجهاد الذي تمرست فيه هو ميدانك الذي تعشقينه

ليس يرضى الهزبر بالأسر طوعا وهو ذو مخلب حديد وناب

لا تخافي أن تستقر ذئاب الذل يوما على عروش الغاب

إن في الغاب يا فلسطين أسدا سوف تحميه من غزاة الذئاب

ويقول في فصل آخر من فصول المطولة بعنوان (ثورة تتفجر) ويقصد بها الثورة الفلسطينية الكبرى، 1936–1938م، ومنها:

في فلسطين صيحة تتعالى رددتها الأرجاء في إيمان

إنها ثورة تشب على الظلم لتمحو عار الخنا والهوان

وهي نار تؤج في كل صدر كتلظي النيران في البركان

ويمضي مخاطباً المستعمر الظالم، متحديا ممارسته الأليمة بحق الشعب الفلسطيني، فيكشف أساليب التعذيب والغطرسة من جهة، ويثير الأمة ويشحذ الهمم للصمود في وجه هذا الخطر مهما كلفهم الثمن من جهة أخرى فيقول:

أيها الظلم! لم يعد غير هذا من سبيل إلى عناق المعاني

إننا أمة تحن إلى المجد وتصبو إلى قراع النصال

وحدت بيننا الخطوب فثرنا نحطم القيد عنوة، لا نبالي

شئت أم لم تشأ، فما عاد يدي أن نسام الأذى فنلقي الزماما

قد نذرنا نفوسنا للمعالي وأبينا على الحمى أن يضاما

لك أن تملأ السجون رجالا فلقد طابت السجون مقاما

لك أن تنفي الأباة، فإن النفي أشهى إلى النفوس الأبية

لك أن تحصد الشباب، وخير –ألف خير– لهم لقاء المنية

لك أن تهدم البلاد، فقوض مثلما ترتضي بها العمرانا

كل هذا يهون حملا، ولكن أيها الظلم لن يهون حمانا![1]

1 مقدمة ديوان (أناشيد أخرى) د. عيسى الناعوري، ط1، 1983م.

تعبر الأبيات عن ولاء الشاعر وانتمائه للوطن، فيخاطب الاستعمار بلهجة شديدة ليبعث اليأس في نفوسهم، ويدعوهم ساخرا إلى استخدام جميع أساليب التعذيب والتشريد، ليؤكد لهم أنها لن تثني أصحاب الحق أن يدافعوا عن حقهم، وكل شيء يهون في سبيل الوطن والكرامة.

كانت قصائد الشعراء صورة صادقة لأنفسهم الملتزمة بقضايا أمتهم ووطنهم، وثورتهم الوطنية والقومية التي نادوا من خلالها إلى الصمود والتصدي وتحمل الصعوبات – ترتكز أساسا على المطالبة بالحرية والإستقلال للفرد والمجتمع، وتدعو إلى التمرد من قيود الذل والعبودية . .

ب. حب الديار ووصف حالها

أحب شعراء الأردن وطنهم وشعبهم حبا كبيراً صادقاً، فلا يقبلون بديلاً عنه ولو كان جنات الخلد، هذا ما أعلنه عرار صراحة بقوله:

يقول عبود جنات النعيم على أبوابها حارس يدعون رضوانا

من ماء راحوب لم يشرب وليس له ربع بجلعاد أوحي بشيحان

ولا تأردنه يوما بمحتمل ولا لتقديسه الأردن إمكانا

وقل معي بلسان غير ذي عوج لا كنت يا جنة الفردوس مأونا[1]

1 عشيات وادي اليابس، ص 6 وما بعدها.

وعندما تعرض عرار لضغوط وإغراءات كثيرة، من أجل الرحيل إلى أي بلد مجاور، كدمشق والقاهرة وبغداد، أبى مفارقة وطنه، لأنه ينظر إلى هذا العرض بعين البديل عن الوطن [1]. فزاده هذا العرض تعلقاً وتمسكاً بالأردن، مما جلب إليه تهمة الإقليمية الضيقة، ولا أعتقد أن تمسكه بوطنه كان بدافع الإقليمية، وإنما زيادة في الحرص على رفضه قبول التمهيد لإبعاده عن أهله وبلاده، وبالتالي يسهل إبعاد الآخرين كذلك، وما تكراره لذكر الأودية والسهول والهضاب، إلا زيادة في حبها والتشبث بها، بالإضافة إلى التذكير بمواطن الفرسان الذين لم يقبلوا مهادنة الإستعمار، كما في قوله:

يا أخت رم كيف رم وكيف حال بني عطية

هل ما تزال هضابهم شما وديرتهم عذية

وتلاع وادي اليتم ضا حكة وتربته غنية

وسفوح شيحان الأغن بكل يانعة سخية

أيام لم يك للفرنجة في ربوعك أسبقية[2]

ومما يعبر عن حبه لأرضه وشعبه، تقديره لرجال المعارضة، ودعوتهم إلى الصمود في وجه الظلم والطغيان، ومن هؤلاء الأبطال على سبيل المثال لا الحصر، محمد صبحي أبو غنيمة، الذي يعد من أهم رجال الحركة الوطنية، الذين وضعوا مصلحة الوطن فوق كل الإعتبارات، عانى من الظلم والقهر والتشريد، فارتحل إلى سورية سنوات طويلة. وكان الصديق الوفي لعرار، الملازم له في تنزهاته من إربد إلى القرى

1 انظر أدباء أردنيون، دراسات في الأدب الحديث، عبدالله رضوان، ص 27–28.

2 عشيات وادي اليابس، ص 27.

المجاورة[1]. وتقديرا لجهوده وجهود غيره الوطنية، لم يغفل عرار تثمين مواقفهم الشجاعة، ودعوتهم إلى الصمود على هذا الدرب المشرف. وعندما عاد أبو غنيمة إلى الأردن بعد غياب طويل، كان عرار في مقدمة المستقبلين المرحبين برجل المواقف ليزف إليه قوله:

قالوا كبا جواده وماكبا

قالوا نبا حسامه ومانبا

قالوا خبا سراجه وماخبا

لكنه حر أبى

أن يصفعن ويضربا

فشرقوا وغربا

واليوم قد عاد إلى

موطنه فيا هلا

معززا مبجلا

يا مرحبا يا مرح1

1 انظر عرار شاعر الأردن، يعقوب العودات، مقدمة كتبها أبو غنيمة، ص 7 وما بعدها.

يتبين من خلال الأبيات فرحة عرار بعودة صاحبه إلى وطنه وشعبه، موضحاً ثباته وصموده على مبادئه ومواقفه الوطنية.

نسبة عرار شعره إلى الوطن مرتبط –دون شك– بحبه له وتكريمه له ويشير وهذا هو الأهم –بشدة انتسابه إليه . ومما يشير لقوة هذا الانتساب –أيضاً– قسمه بها حيث يعوزه القسم، واستفهامه عنها حيث يعوزه الاستفهام. وتلتقي دلالة القسم والاستفهام –عند عرار– مع المتداول فيهما. أما القسم فإنه في أوضح دلالة له يصار إليه في معرض التوكيد لتنتفي الظنة وترتفع الريبة وتتعمق الحقيقة، ولا يقسم في المألوف والمتداول إلا بالأعز فالأعز. أما الاستفهام فإنه في دلالة من دلالاته يعني الرغبة في معرفة الحال، ولا يستفهم في الاستعمال والمتداول إلا عن الأقرب فالأقرب.

القسم والاستفهام يعبّران عند عرار عن صدق انتمائه لوطنه وعن إخلاصه في وصف طبيعته بنحو يغدو فيه الأقصى منها عنه ماثلاً أمامه والنائي منها عنه في حضرته يشاهده:

قسماً بماحص والفحيص وبرد ماء الحمّر

إني إلى تلك الربوع وحسنها المتوفر

سأظل نضو تشرق وتذكر وتحسّر[1]

ولا يقسم عرار بالذي يذكره هنا حسب بل يتخطاه ليقسم ب"الحصن" و "وادي السير":

أقسم بالحصن ووادي السير والرشأ المهفهف الغرير

[1] الديوان: 235

لست إذا ما قيل: بالبنجور أحضر، بمن يرغب في الحضور[1]

وإذا ما ابتعد عن وطنه بسبب نفيه يحس وكأن الأرض سُدت بوجهه:

سدّت الأرض بوجهي باب إمكان الهناء

والسما أحسبها كالأرض يعنيها شقائي[2]

فعرار يستمد سعادته من الأرض و الوطن : عذوبة ماء وروائح دحنون وعسل بقل وعليل صبا ، ولقد كانت فتنته بها وراء رأي مفاده أن عراراً إقليمي الهوى إقليمي النزعة[3].

لقد كان الوطن ملاذ عرار، يجد مسرته في قربه منه وفي التصاقه به، ويصادف بهجته في صنوف هباته. من هنا فإن أي مساس بهذا الوطن يؤرق عراراً ويشقيه، فيصبح الوطن ـ عندئذ ـ مبعث سعادته ومبعث همّه في آن. ومن هنا –أيضاً– فإن عراراً عندما يضنيه ضيم الوطن يجد ما يفر إليه. إنه الوطن ما دام لا يمنحه إلا ما يحبه ويعشقه:

موطني الأردن لكني به "كلما داويت جرحاً سال جرح"

وبنفسي رحلة عن أرضه عله يشفي من الإرهاق نزح

إن أرى لي بيت شعر حوله من شلايا قومك السرحان سرح[4]

[1] الديوان: 237.
[2] الديوان: 433.
[3] راجع أحمد أبومطر، عرار الشاعر اللامنتمي: 128، 165.
[4] الديوان: 150.

إن منية عرار –هنا– لا يمكن فهمها إلا في ضوء محبته المتأصلة للأردن، وليس نزحه الذي يتمناه عن أرضه إلا رجعاً تتردد فيه أصداء حبه لها، وهو حب يعاود الحديث فيه من جديد ضمن حديثه عن أرض "حوران":

فما مثل الحياة بأرض بر بها أهل المروءة والوفاء

وإن أسكن أخي ببيت شعر بعرض الفقر في وسط الخلاء

ومن حولي أُناس ذوو قلوب صفت واد إلي بلا مراء

لخير من قصور شاهقات كحصن قد أحيطت بالبناء

بحوران اجعلوا قبري لعلي أشم أريجها بعد الفناء[1]

فالكثير من هموم عرار يرجع إلى ما يعانيه شعبه من بغي الطغاة المستعمرين ومنها ما يرتد إلى ما، يلحق بشعبه من عبث المرابين، ومنها ما يتصل بأفاعيل المنافقين، ومنها ما يتعرض له وطنه الكبير "كل بلاد يلفظ الضاد أهلها" مما لا يختلف في حقيقته عما يعانيه موطنه الأردن. ومهما كثرت هموم عرار وكبرت، فإنها لا تنفك ترجع – على الجملة– إلى ما يتعرض له موطنه من أخطار تداهمه من الخارج وأخطار تداهمه من الداخل، وهي أخطار نبّه عرار قومه لخطورتها:

هاتها واشرب فقومي كاد من فرط إيقاظي لهم صوتي يبح[2]

[1] الديوان: 531.
[2] الديوان: 149.

إن إحساس عرار بالمخاطر التي تتهدد الوطن والمواطن تتهدده بالطبع، ولا فرق في الحرص على إيقاعه به بين مستعمر أو مراب أو منافق، فكلهم همهم – على اختلاف وسائلهم – سواء في سوء الفعل وكلهم سواء في إفسادهم الوطن والتضييق على المواطن :

يا رهط "شيلوخ"! من يأخذ بناصركم يجن على الحق والأخلاق والدين

ومن يسهل أمراً فيه مصلحة لك فملعون حقاً وابن ملعون[1]

وسوء الصنيع الذي يتجلى في فعل المرابين والمستعمرين – هنا – هو هو في كل الشعر الذي يتحدث فيه عرار لا همّ لهم إلا المساس بخير الوطن ، ولا همّ عندهم إلا المساس بجمال الوطن وجرح المواطن:

والشعب أضيع عندهم من سائل قدر يمد ذراعه للئيم[2]

وهاهو يحذر من المنافقين والمدلسين الذين يبدون حلاوة ويفعلوا فعل الرقطاء، فلا بد أن تتكشف حقيقتهم وحقيقة خطورتهم على الوطن :

هيه يا رمز الأماني والمنى إنهم حيات، رقطاء تفح

لا يغرنّك تقـبـيلـهم يدك اليوم، وتقريظ ومدح

فغدا سوف ترى موقفهم منك، يا مولاي، إن أبرم صلح[3]

[1] الديوان: 348.
[2] الديوان: 305.
[3] الديوان: 154.

ينفث المنافقون سمومهم فيحاولون أن يقتلوا بها كل غض من إنجاز الوطن ، لا يبتغون في كل ما يفعلون إلا ما هو في مصلحتهم، فالغاية – عندهم – تفرض الوسيلة، وكل ما سوى ذلك فأمر لا يقع – في مذهبهم – إلا في دائرة المحظور، وعلى هذا الأساس نفهم قول عرار في إحدى قصائده:

لما رأيت الكذب سر تفوق فئة السرية

ورأيت كيف الصدق يذ هب من يقول به ضحية

ونظرت أحلاس الوظا ئف سادة بين البريــة

أيقنت أن الألمعيــة في ازدراء الألمعيــة[1]

ويبقى عرار شامخاً بكلماته في مواجهة الأشرار وفي مجابهة شرورهم، يبذل كل ما في استطاعته دون كلل أو ملل، ودون أن يأبه لما يمكن أن يلحق به جراء مواقفه الوطنية:

فمن سجن إلى منفى ومن منفى إلى غربة

ومن كر إلى فر ومن بلوى إلى رهبة

فبي من كل معركة أثرت عجاجها ندبه

تعالى الله والأردن لا بغداد و "الرطبة"[2]

[1] الديوان: 125-126.
[2] الديوان: 430.

وأكثر ما كان يتسبب لعرار من إيلام، وما كان ينتابه من ضعف وما كان ينتهي إليه من يأس. أن استجابة شعبه له لم تكن بحجم المخاطر التي كانت تتربص به، ولم تكن بقدر وعيه بها وغيرته عليه، الأمر الذي ظل يرهقه ويورثه الهم:

فليتق الله بي شعب محبته، كانت وما برحت، ديني وديداني

وليتق الله بي شعب وفيت له حق الوفاء وبالنكران كافاني

على مذابح قولي: سوف أسعده ضحيت عمري، فلم يسعد وأشقاني[1]

ولا تختلف المرارة التي تعصف بعرار – هنا – عنها في قوله:

كم صحت فيكم وكم زعقت من ألم فما أفاقوا ولا أصغوا لألحاني

فلا التسابيح، في المنفى بخلت بها ولا الأناشيد في "غور ابن عدوان"

ولا الزمان الذي أفنيته وأنا أقارع الخصم في الميدان وحدان[2]

لم يكن عرار وحيداً في تبني قضايا الوطن والمواطن، ولم يكن وحيداً يتشرب حب الوطن فالشاعر حسني فريز لا يقل عن عرار في هذا المجال، فقد أصبح الوطن بالنسبة له النشيد الذي يستمتع بأنغامه، إنه الحب الذي يتوارثه الأبناء عن الآباء، حيث يقول:

بلادي حبيتك أنت الرجاء وأنت الحياة مع العافية

[1] الديوان: 371.
[2] الديوان: 381.

وأنت الشباب الذي لا يحول ترف عليه المنى الحالية

وأنت النشيد الذي لا يمل تغنيه أمي وآبائه

رأيت الزمان يناجي الجمال فكنت الجمال بلا ثانية[1]

فحب الشعراء لديارهم، دفعهم إلى عرض جرائم الاستعمار، وما لحق بالبلاد من خراب وقتل وتشريد، بالإضافة إلى تخاذل البعض من أبناء الوطن، ليجعلوا منها مواقف تثير الحمية وتحرك المشاعر. من أجل ذلك توجه الشعراء في بعض قصائدهم إلى وصف حال الأهل والديار، يستمدون صورهم ومعانيهم مما يشاهدون في حياتهم وواقعهم، وفي طليعة هؤلاء الشعراء، عبد المنعم الرفاعي، الذي استمد وحيه من مصائب مجتمعة ونكباته. فقد أثارت نكبة فلسطين سنة 1948م، قريحة الشاعر، فانهال بقصائده المتأججة لما أصاب بلاده، وكانت هذه القصائد بمثابة عبوة ناسفة، يحشو بها جوف أمته، ليثير فيهم الحمية ويحيي الضمائر المتغافلة عما أصاب أهل فلسطين من ألوان التنكيل والتشريد، فنراه في قصيدته (فلسطين) يقول:

هل بجبينك من مسيل الجراح غمزة في إبائك الطماح

أم تمرست في الصعاب طويلا من كفاح دامي العلى لكفاح

يا فلسطين ما عليك إذا ما أنشب الخطب نابه من جناح

قد تحملت ما تحملت حتى سقط السيف من يد النفاح

1 ديوان هياكل الحب، حسني فريز جـ 2، ص50.

وكأني بك الغداة شحوبا شبح ماثل من الأشباح

فهو في مذهب الحياة ظلال للضحايا في مذبح السفاح

آية الحق حين يمحقه الظلم ويذروه طغمة للرياح

ويمضي في قصيدته يخاطب فلسطين، ويلتمس منها تحمل ما بدر من أبناء الأمة من تقاعس وزيف في التسلح والجهاد ليقول:

يا فلسطين ما عليك جناح هذه نزلة القضاء المتاح

هذه فرية[1] الرجال على المجد وزيغ الرؤى وعجز الطماح

هذه زلة العروبة لما كذبت في جهادها والكفاح

يوم أن شكت السلاح خداعا يا لخزي الوغى وخزي السلاح

أيها التائه الشديد المعنى يرتجي في الدجى طلوع الصباح

رب سار يضل في حلك الليل وتهديه شمعة المصباح[2]

صورة واقعية، رسمها الشاعر في أبياته، حين خاضت الأمة حربها مع عدوها، دون إعداد لذلك، جهاد كاذب، لم يدفعهم إلى ذلك سوى واجب يؤدونه ليرفعوا اللوم بعد ذلك عن أنفسهم. وكذلك عرفنا كما عرف الشاعر، تلك الأسلحة العربية الكرتونية التي لا تسمن ولا تغني من جوع. فكانت النتيجة التي نعرفها. لذلك

1 الفرية: الكذبة، المعجم الوجيز، ص 470.

2 ديوان المسافر، عبد المنعم الرفاعين ص 70، وما بعدها.

عندما سكب الشاعر معانيه في قصيدته، لم يأت بها من عالم الخيال، وإنما واقع حقيقي، شاهده كغيره من أبناء المجتمعات العربية.

ومن الصور الوطنية التي رسمها الشاعر أعقاب النكبة الفلسطينية، صورة عبر بها عن مقته وغضبه لصنيع الاستعمار الذي شرد الألوف من أبناء فلسطين، وسد أمامهم السبل والأبواب:

مارد القوة ما خلف المدى فترامیت شراعا وعبابا؟

أمن العدل الذي أعلنته ما جرى في القدس قهرا واغتصابا

شردت أيديك شعبا آمنا في فلسطين زكا نيعا وطابا

ضارب في الأرض يبغي ملجأ من عواديك مما يدرك بابا

أنت أغلقت عليه دربه ومنعت الدار عنه والرحابا[1]

ومشهد آخر من مشاهد الديار المظلمة، يرسمه الرفاعي عندما يقف على أعتاب المخيم الذي يأوي جموع المشردين، فتهتز مشاعره وتتدفق عواطفه الجياشة، عندما يستعرض الوضع المؤلم الذي يعيشه اللاجئ ، ليرسم بريشته تلك اللوحة الزاخرة بالمعاني الوطنية و العواطف الصادقة ، وكأنه بنفس اللاجئ حين ينتقل بأفكاره من مشهد إلى آخر، فيبدأ بوصف الذل والهوان الذي أصابه حين يقول:

يا شقيا هز أعطاف الزمان ضرب الليل عليه بالهوان

1 ديوان المسافر عبد المنعم الرفاعي، ص 66.

يا شريد الوطن الغالي المعاني خلف خط النار نيران الهوان

ويستغرق الشاعر في قصيدته الطويلة، فيذكر بتاريخ فلسطين أيام شرحبيل وصلاح الدين، وينتقل من حقبة إلى أخرى، ليخلص إلى مواجهة بين اللاجئ والمغتصب، مواجهة يضحي فيها اللاجئ بدمه فداء لوطنه، فيقول:

زحف اللاجئ يبغي الوطنا

وجد الموت حلالا هينا

والتقى في زحفه جمع وجمع

ودم سال على الساح ودمع

ويقول أيضاً:

والتقى راجع ومغتصب

واستشاط الحديد واللهب

والمنايا يشدها الغضب

ههنا الفتح كان والعرب

وهنا يستعاد مستلب[1]

1 ديوان المسافر ص 79 وما بعدها، وعبد المنعم الرفاعي حياته وشعره، محمد أحمد موسى، ص 98 وما بعدها.

أحب الرفاعي وطنه كحبه لأمته، وكان ثورة في وجه كل من يحاول المساس بالوطن، فيتمنى أن يحكم فيهم ليذيقهم درسا في حب أوطانهم:

وطني يا لهف نفسي وطني　　يا شتيت الأهل يا أرحب رمس

فيك من كل شهيد آية　　هي في معنى العلى أبلغ درس

ولقد مرت على عيني رؤى　　من طباع الناس من مكر ودس

إن أحبوك زمانا فهمو　　يفهمون الحب بالمعنى الأخس

عزت الأذناب فيهم وغدت　　تعلو على أشرف رأسي

ليتني وليت فيهم ساعة　　فأريهم كيف أنهال بفأسي[1]

كان للوطن نصيب وافر في شعر الرفاعي، أحبه وأخلص في حبه، وتجول في جنباته يواسي حينا، ويشحذ الهمم حينا آخر. ويعتبر شعره ثورة في وجه المتخاذلين، ونافذة تنير درب المكلومين والمشردين، ولكنه لم يكن جريئا في مواجهاته كما كان عرار، وربما ساير العصر وتمشى مع ما يتطلبه الموقف السياسي آنذاك.

والناعوري كان له دوره في وصف حال البلاد في تمزقها وهوانها، يمتلك قلبه الحزن والألم لما يشاهده من الانقسام والتخاذل في مواجهة الغرباء، مما أدى إلى إذلال الأحرار وضياع الديار:

أرض الأباة وموطن الشهداء　　لهفي عليك ضعينة الأحشاء

1 عبد المنعم الرفاعي، حياته وشعره، محمد أحمد موسى، ص 230.

لهفي على الأحرار كيف أذلهم غدر الصحاب وصولة الغرباء

لهفي على البلد الحبيب وقد غدا بعد الجمال ممزق الأشلاء

تلك السهول النائحات على السنا ضاعت بلا حرب وسفك دماء

ويمضي ليكشف أن خيانة بعض أبناء الأمة، أدى إلى تسليم البلاد لغير أهلها، فتمرغت الأمة بالذل والعار:

خانوك أشنع ماتخون أذلة لكن رموك همو بذاك الداء

إن الخيانة يا شهيدة قد نمت وترعرت بمنابر الخطباء

هم أسلموك إلى العدو فمرغوا بالعار كل كرامة وإباء

زمر تعيش على الخيانة مثلما عاش البعوض على خبيث الماء

ويتساءل الشاعر عن الاستعداد والتسلح لمواجهة العدو، تعبيرا عن سخريته لمن يكتفون بالخطابات المنمقة فيقول:

أين الجيوش الزاحفات إلى الوغى وقلوبها تهفو ليوم لقاء؟

أين المدافع لا يكل دويها والطائرات تئز في الأجواء؟

خرس الجميع فلا سلاح وإنما كان السلاح مقاول الزعماء![1]

[1] ديوان أناشيدي، د. عيسى الناعوري، ص 60 وما بعدها.

وفي قصيدته (دمعة) يتأرجح الشاعر بين وصف حال الأمة، فيوبخها على مهادنه العدى، وبين الثورة التي يدعو بها إلى بذل النفس والنفيس في سبيل تحقيق المجد وطلوع الفجر، فيقول:

يا أمتي لا كنت من أمة مجرمة، جبانة، خادعة!

تنيخ ظهر الذل للممتطي فخورة، في ذلها قانعة

تسير في أيدي العدى مثلما شاء العدى، صاغرة طائعة

لا كنت إن لم تعصفي بالقيود ولم تعيدي الوطن المستباح

لا كنت إن لم تنهضي للعلى ولم تبيعي النفس بيع السماح[1]

يحمل الناعوري، زعماء الأمة، مسؤولية ما أصاب الشعوب والأوطان، فهم الذين تهاونوا مع بني صهيون في تسليم الأرض، وقبلوا الذل الذي لحق بهم، ويبدو ذلك واضحا في كثير من قصائده، كقصيدة (زعماء قومي) ومنها قوله:

زعماء –قومي لا العدو وجيشه– هم رأس نكبة شعبي المطعون

باعوا الكرامة والحمى وبني الحمى بيع الذليل إلى بني صهيون[2]

[1] ديوان أناشيدي ،69

[2] المصدر السابق، ص 75.

تتبع شعراء الأردن، الأحداث والمناسبات التي يمكن استغلالها في توجيه قصائدهم، لتكون أبلغ تأثيرا وأشد وقعا في النفس، وهذا ما فعله الناعوري، عندما أستغل مناسبة عيد الأضحى الذي يمر بالأمة وأرضها مغتصبة، فتثير هذه المناسبة شجونه عندما يتذكر فلسطين التي كانت أضحية رخيصة في ذلك العيد، ثم يذكر بتاريخ الأمة الإسلامية وأبطالها، كخالد في اليرموك، وصلاح الدين في حطين، فيقارن بين مواقفهم البطولية، ومواقف الأمة في عصرها الحديث، مما يولد الشؤم واليأس في نفس الشاعر، فلا يعقد الأمل على أحد يعيد للأمة مجدها وكرامتها، فله في ذلك قوله:

عيد ... فلسطيننا إحدى ضحاياه أضحى ... ولكننا كبرى ضحاياه

يا أمة لم يعد في يومها رجل في صولة البغي تدعوه فتلقاه

حطين بعد صلاح الدين ما عرفت شهما يثور على ضيم ويأباه

وخالد... دورة الأيام قد بخلت بمن يجدد في اليرموك ذكراه

مات الرجال وقومي في مذلتهم لم يبق فيهم من الأبطال أشباه[1]

وفي قصيدته (دموع صامته) يصف ما أصاب البلاد من تمزق وتفرق، ويلقي اللوم أيضاً على زعماء الأمة الذين لم يبذلوا جهدا في سبيلها، فيوازن بين ما كانت فيه البلاد من العز والرفعة، وما آل إليه مصيرها ومصير أبنائها، ومنها أقتطف قوله:

أنا في موطني غريب أعاني بين أهلي مرارة الإغتراب

[1] ديوان أناشيدي، الناعوري، ص 42.

وطن كان للأسود عرينا أصبح اليوم ملعبا للكلاب

مزقوه وشردوا ساكنيه وأباحوه للخنا والسلاب

سلموه إلى العدو رخيصا لم يذودوا عنه بظفر وناب[1]

تأثر الناعوري بالقضية الفلسطينية، فكانت همه وشغله الشاغل الذي لا يغيب عن باله، مثله في ذلك مثل غيره من شعراء الأمة العربية في مختلف بقاعها. تلمح في قصائده الإحساس الفعلي بالألم والمعاناة، ويكشف النقاب بجرأة عن الأسباب التي صارت بالأمة إلى ما هي عليه، ورأى من واجبه إثارة الهمم والحض على الصمود والدفاع عن الحقوق المغتصبة.

ومن الشعراء الذي أمعنوا فيما أصاب الأمة، رفعت الصليبي، وله في ذلك قصيدته (وطن) ومنها قوله:

وطن طال بؤسه وعذابه حين أغفى شيوخه وشبابه

مزقته هوج المطامع وانهال عليه ظفر الزمان ونابه

مرتع للغريب رحب خصيب وبأبنائه تضيق رحابه

كم شريد خالي الوطاب طريد ليس يحوي إلى النفاق وطابه

ساد فينا وصار ترجى أياديه ويخشى حسابه وعقابه

[1] ديوان أناشيدي، الناعوري، ص 71.

عميت مقلة الزمان فسيان لديه أسوده وكلابه[1]

نلاحظ وضوح الأسلوب وصدق العاطفة عند الشاعر، بالإضافة إلى استيحاء معانيه وصوره من الواقع الذي يسود من حوله. فقد أقلقه تمرس الغرباء في وطنه، وآلمه تشرد الأهل وإذلالهم، وحب الوطن والمواطن يدفعه إلى رفض الذل والخضوع للمستعمر الذي ساد وصارت ترجى أياديه ويحسب حسابه.

ج. الدعوة إلى الوحدة ولم الشمل

تفتت الأمة وتشتت كلمتها، من المعاني الوطنية التي شغلت الشعراء، وبرزت بشكل واضح في قصائدهم. فعملوا على معالجة مواقف التفرق والتنويه إلى أنها سبب هام من أسباب ضعفهم وهزيمتهم، لذلك دعوا في كثير من قصائدهم إلى لم الشمل وتوحيد الصف، لما في ذلك من أثر على استعادة الهيبة والكرامة، وفي تفرقهم فناء لهم وضعف لشخصيتهم وفقدان لحقوقهم وإيماناً من الشعراء بما للوحدة من أثر على الوطن والمواطن فقد أكدوا على ذلك بكثير من قصائدهم وفي طليعتهم عرار حيث يقول:

إني أرى سبب الفناء وإنما سبب الفناء قطيعة الأرحام!

فدعوا مقال القائلين جهالة: هذا عراقي وذاك شآمي!

وتداركوا بأبي وأمي أنتم أرحامكم برواجع الأحلام!

فبلادكم بلادي وبعض مصابكم همي وبعض همومكم آلامي![2]

1 من أعلام الفكر والأدب في الأردن، محمد أبو صوفه، ص 313.

2 عرار شاعر الأردن، يعقود العودات، ص 285.

يدعو إلى الوحدة التي تمناها كل عربي، فهو كغيره ممن تعطشوا إلى الترابط وتوحيد الصف، وكما وصفه صديقه ورفيق دربه، الطبيب محمد صبحي أبو غنيمة "لم يكن إقليميًا كما وصفه بعض المستغلين، كان عربيًا قوميًا بكل معنى الكلمة"[1]. وما أجمل أن يعبر عن حبه لأمته بقوله:

وكل بلاد يلفظ الضاد أهلها بلادي وإن كانت بمثلي تظلع[2]

والأمير عبد الله بن الحسين له مساهمات في إثراء الزاوية الوطنية ببعض قصائده التي يدعو من خلالها إلى وحدة الأمة، وله في ذلك قوله:

سمعت كلاما من يمين وشمال وقد جاء في معناه ما كان أغراني

فتحت لكم بابا إلى المجد عنوة فسيروا ورائي تدركوا مجد أوطاني

ألا قل لقوم يرفضون نصائحي على رسلكم يا قوم لست لكم شاني

ألا قاتل الله العداة فإنهم بطانة سوء والخؤون هو الجاني[3]

ففي قوله فتحت لكم بابا إلى المجد، إشارة إلى الوحدة التي ينصح بها، وقوله فسيروا ورائي، دلالة على أنه أول من يمد يده للإتفاق الذي يحقق مجد الأوطان.

1 المرجع السابق، ص 8، 10.

2 ديوان عشيات وادي اليابس، ص 233.

3 الملك عبد الله كما عرفته، تيسير ظبيان، ص 60.

ينبعث في نفسه السرور كلما رأى بادرة تبشر بالخير وتسير في درب الوحدة، فقد كان في غاية السعادة عندما التقى شاعر لبنان، كامل العاملي، مع الأستاذ عثمان عبيد، القائم بأعمال المفوضية المصرية في عمان، يدعوان إلى الوئام ونبذ الخصام، فعبر عن هذه السعادة بقوله:

سبحان رب الملا يا قوم سبحانا ما أعجب الناس أشكالا وألوانا
قل للنجيبين قاما يدعوان إلى نبذ الخلاف بأرض العرب لا كانا
إن الذي جئتما من أجله أمل في وحدة صدعت أصلا وأركانا
إثنان من أمة للخير داعية والآخرون دعوا خلفا وبهتانا[1]

وها هو يصر على أن هيبة الأمة ورفعتها لا تكون إلا بالتعاضد والوقوف صفا واحدا:

إن العروبة تعلو يوم وحدتها كيما تصول وفي عهد ولم ينم
تقرعينا بمرآها ومظهرها بعد الذي كان من يأس ومن ألم
خوفي على العرب من قوم تضللهم تشير أسماؤهم في الأصل للعجم
دعهم ومل أنت عنهم ميل ظي مقة واحرص وإن غيروا الأسماء من ندم

ويمضي في قصيدته ليسترجع الدور القيادي الذي لعبته الأمة عبر التاريخ، فيستنهض الهمم، ويحذر الأعداء من ثورة العرب إذا أرادوا الانتقام، مذكرا بوجوب التضحية، والاستفادة من عبر الماضي، بقوله:

فالعرب قوم تقود الناس ليس بهم ممن يقاد فحاذر صولة النقم
لو كان ينجي بلادا ساء طالعها منهم بسفك، لهان اليوم سفك دمي

[1] الملك عبد الله كما عرفته، تيسير ظبيان، ص 98.

لا تجعلوها لغير العرب قومكم لمن تسامى لكم يا قوم من قدم

ياما مضى من قديم الدهر من عبر ما كان مختلفا في زي منسجم[1]

ومن مساجلة أجراها مع الشاعر، وديع البستاني يقول:

إن السلامة في توحيد قصدكم ولن تضلوا بأخلاد لإرشاد

لا يجمع الشمل إلا مقصد جلل يفدى حلالا بأرواح وأجساد

وقد وهبت له روحي وما ملكت يدي وقومي وأولادي وأحفادي[2]

يعرف الأمير عبد الله، مدى تأثير الشعراء في الشعوب، وعندما كان ينادي بالوحدة أمام مجموعة من شعراء الأمة في حلقاته الشعرية الرغدانية، كان يدرك مدى تأثير ذلك وانتشاره بين الأوساط العربية، وهذا دليل على صدق عاطفته وجودة أسلوبه.

لا تكون الوحدة ولم الشمل بالتمني والدعاء دون عمل وسعي لذلك، فلا بد من العمل الجاد، والتضحية من أجل تحقيقها، هذا ما دعا إليه حسني فريز بقوله:

يا أخوتي في كفاحي وعدتي وسلاحي

نجاحكم ونجاحي في الوحدة العربية

غدا صباح جديد غدا صباح فريد

عزم الشباب المرير في خدمة الحرية

إيماننا بالنضال وعزمنا كالجبال

ولن تنال الليالي من الوحدة العربية[3]

ومن قصيدته (يا لوعة الأيام) يقول:

---

[1] الملك عبد الله كما عرفته، تيسير ظبيان، ص 101 – 102.

[2] المرجع السابق، ص 89.

3 ديوان هياكل الحب، ج 2، ص 217.

كثير نحن لكنا قليل إذا حمي الوطيس على الجلود
ألا شدوا محازمكم وقوموا إلى عمل إلى أمر مفيد
قنعتم بالكلام وبالتمني وتدبير المكائد والوعيد
وسيفكم على الأدنى طويل شديد صيغ من قلب الحديد
وهذا السيف من خشب طري إذا سلوه للخصم العتيد
فقد رصد العدو لكم سلاحا وعلما في القيام وفي القعود
وأجمعتم جميعا أن تظلوا على حال القطيعة والسدود
يكذب بعضكم فيقول زورا نحبكم ويسعى في الصدود
ولكن العدو وعى وأوعى فظلوا هكذا أبد الأبود[1]

يدعو الشاعر إلى نبذ الخلافات جانبا، وربط الأحزمة والعمل صفا واحداً، لمواجهة العدو الذي يعد عدته، ونحن نلهوا في خلافاتنا، وفي هذا تقريع للأمة وحث لها على الترفع عن سفاسف الأمور، والتطلع لما هو أحق بالعناية والتدبر.

تلك صورة من صور الواقع العربي، جاء بها الشاعر ليصف حال العدو من جهة، وحال الأمة من جهة أخرى. فجاءت كلماته سهلة قريبة من الأذهان، بعيدة عن متوعر القول وغريبه. ولم يسرح في خياله ليرسم صورة تتلائم مع فهمه وذوقه، وإنما جاء بما يتلائم والمستوى العام للمجتمع.

وقصيدة (رسل الوحدة) للشاعر عبد المنعم الرفاعي، من القصائد التي تنادي بالوحدة وتتطلع إلى تحقيقها، وتعبر عن فرحة الشاعر البالغة بلقاء الأخوة من الأقطار العربية المجاورة، وألقى هذه القصيدة سنة 1939م في ساحة المدرج الروماني في عمان، أمام وفد سوري، قدم إلى الأردن برئاسة المرحوم شهبندر،

1 ديوان هياكل الحب، جـ 2، ص 72، 73.

وعلى مسمع عدد كبير من الشعراء والجماهير، وتزخر بالمعاني الوطنية التي تفصح عن لهفة الشاعر للتآلف العربي، ومنها قوله:

وقف الصبح باسم الأضواء فرحا من تعانق الأبناء
وقديما هبت من الشام روح ملأت بالشذى مدى الأجواء
فاسأل الجو هل به غير عبق من خزامى جناتها الزهراء
واسأل البحر هل به غير موج عربي من شاطئ الفيحاء
واسأل البر هل به غير ترب جبلته مصارع الشهداء
أي بني الشام ليس في الشام إلا صور المجد في إطار الإباء
كل فرد عليه يرتسم المجد ومنه مشارق العلياء
لهف نفسي متى تطيب الأماني بعد طول الجهاد... بعد العناء
ومتى الوحدة التي نرتجيها تتخطى حدود كل رجاء[1]

يتضح من الأبيات سرور الشاعر وسعادته بهذا اللقاء الأردني السوري، واعتبره فاتحة خير نحو توحيد الصف العربي الذي يدعو إلى العمل من أجله.

ولكن نلاحظ أنه بالغ في تلك الفرحة، عندما يقول، وقف الصبح، وكأنه نسي وسطه الاجتماعي الذي يعيش فيه، وجاءت قصيدته للمبارزة مع غيره من الشعراء، فربما أثقل على السامع من أبناء العامة، بالإضافة إلى تكرار كلمة (واسأل) في بداية الأبيات، مما يولد الملل أحيانًا. ولا أحد ينكر ما للرفاعي من فضل في إثراء الزاوية الشعرية الوطنية، ولكن حبذا لو راعى المستوى الثقافي الذي يعيشه المجتمع الأردني آنذاك، باختياره الألفاظ والمعاني التي تتناسب مع قدراته المتاحة.

1 ديوان المسافر، عبد المنعم الرفاعي، ص 35 – 36.

ومن شعراء الأردن الذين أغنوا الجانب الوطني بقصائدهم، إبراهيم مبيضين، الذي أحب وطنه وأخلص في حبه، كما أحب أمته العربية واهتم بقضاياها، فكانت قضية الوحدة، من أهم القضايا التي تبناها، فلا يؤمن بتلك الحدود المصطنعة التي تباعد بين أبناء الأمة الواحدة، فهي العلة والسبب في ذل الأمة وهوانها.

ومما أفصح به عن تلك العواطف قوله:

بلادي لا أطيق البعد عنها فإني في هواها مستهام
بني قومي أعدو واستعدوا جميعا إن علتنا انقسام
ولا تتفرقوا شيعا وتغدوا شتاتا ليس يجمعكم وئام[1]

ومن روائع شعره، قصيدته (ضموا) إلى بردى الشريعة وحدة)، حيث ينادي الشاعر بوحدة بلاد الشام والبلاد العربية عامة، مشيرا بذلك إلى ما تمليه شريعتنا الإسلامية، ومنها قوله:

ضموا الشام إلى الشآم وحققوا أملا على إيمانكم يتحقق
وأمحوا الحدود من الوجود وجددوا عهد الجدود وذا أجل وأليق
واستعصموا بالله فهو وليكم لا تقنطوا بأسا ولا تتفرقوا
ضموا إلى بردى الشريعة وحدة أولم تكن من شيخكم تتدفق
وتعود أشتات البلاد نظيمة ولواؤنا الزاهي عليها يخفق
فمتى نراك حقيقة ملموسة يا وحدة الشام التي نتعشق[2]

1 من أعلام الشعر الأدني، إبراهيم مبيضين، تأليف حسن مبيضين، وفوزي الخطبا، ص 170.
[2] من أعلام الشعر الأردني، ص 189–187.

والمتأمل في نماذج المبيضين الشعرية، يدرك الفرق بينه وبين الرفاعي، من حيث الأسلوب وسهولة الألفاظ والمعاني، فجزالة الألفاظ التي ربما نلمسها في بعض قصائد الرفاعي، يكاد المبيضين يتحاشاها ويبتعد عنها، كلماته سهلة الفهم، ومعانيه لا تحتاج إلى دراية في اللغة والثقافة، مما يسهل على عامة الناس فهمها والإستفادة منها.

ومن الشعراء الذين استخدموا الطبيعة في التعبير عن دعوتهم إلى الوحدة، والتحذير من التفرق، الشيخ نديم الملاح، ومن قصيدته (وقفة على اليرموك) يقول:

عرجت باليرموك أذكر عهده ذكرى هوى نقضت علي جروحي

ووقفت اسأله سؤال متيم أغنت إشارته عن التصريح

فأجابني بهديره وكأنه زفرات صب أو أنين جريح

لا تشمتوا بكم العدو وحاذروا من فرقة كم أذهبت من ريح

وتحينوا فرص المنى إن المنى لبغاتها الأحرار ذات سفوح[1]

استخدم الملاح صوت الماء الذي يصدر عن النهر، للتعبير عن سخطه وألمه، لما يصيب الأمة من ضعف وتشتت، يتضح ذلك في البيت الثالث، عندما قال: فأجابني بهديره، استخدم كلمة الهدير للدلالة على العنف والغضب، وكذلك قوله: الزفرات، إشارة إلى ما بنفس الشاعر من كبت للهموم والآلام.

[1] جريدة الجزيرة، عدد 948، 1940/1/19م، ص3.

وخلاصة القول في هذا المجال، أن الشعر اتصف بالوضوح المعبر عما يقصده الشعراء من أهداف، ويعكس ملامح الحياة التي يعيشونها، مما يدفع القارئ أو السامع إلى الانخراط والإنسجام، وكأنه يرى نفسه وواقعه من خلال قصائد الشعراء.

فقد غلب على شعرهم الطابع الحماسي في تصوير الوقائع والأحداث، وتنوعت عواطفهم بين حب الوطن وارتباطهم بالأرض والمقدسات، والثورة في وجه المستعمر، والتنديد بالمتخاذلين،وحبهم لشعبهم خوفهم عليه. وكثيرا ما نلمس طابع الحزن والألم النابع من إشفاقهم على الأيتام والأرامل والمشردين، وكان للمناضلين نصيب في قصائدهم، يصورون شجاعتهم وثباتهم وتضحياتهم، ويبدون إعجابهم وسرورهم لمواقفهم الباسلة، كما نلاحظ في قول عبدالله بن الحسين:

فثرنا ناقمين نريد حقا أزلنا الجور والقوم الطغاما

وفي أرض أقاموا الظلم دهرا ملأنا منهم جثثا وهاما

فإن عدنا لما كنا عليه فلا ظلما ترون ولا ظلاما[1]

وكما في قول عبد المنعم الرفاعي:

واندفاع الرصاص نحو شباب عربي ما مال يوما وحادا

كم شهيد طوى هناك شهيدا عز روحا وعزت استشهادا

أيهذا الشهيد يا جاري الأدنى الذي صافح الفؤاد الفؤادا

[1]الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسني، ص 569–570.

أنت في أفق جلق قبس النور يضيء الربى لها والوهاد[1]

أدى شعراء الأردن دوراً كبيراً في الإشارة إلى الإتجاهات الوطنية بمظاهرها المختلفة، فكانوا دعاة للحرية وللوحدة العربية، وتنوعت قصائدهم لتشمل جوانب الحياة المختلفة، وهذا يدل بلا شك، على مواكبة الحركة الشعرية الأردنية، للحركات الشعرية العربية في بيئاتها المختلفة، وقد أشار إلى ذلك الدكتور سمير قطامي بقوله "معظم النتاج الشعري الأردني، ينصب على القضايا السياسية والوطنية والقومية والاجتماعية...، فيعرض لقضايا الوطن وهموم الناس ومتاعبهم، ويعرض لقضية الإنسان في صراعه مع القوى الأخرى، وموقفه من قوى القهر والتسلط والاحتلال والاستعمار، ويمكن القول، إن هذه السمات تكاد تكون متشابهة أو متقاربة لدى الشعراء في معظم الأقطار العربية[2].

[1] ديوان المسافر، عبد المنعم الرفاعي، ص 42.

[2] الحركة الأدبية في الأردن، د. سمير قطامي، ص 65–66.

الفصل الثالث

الشــعر الوجـــداني

الفصل الثالث

الشـعر الوجـــداني

==========

هو الشعر الذي يأتي نتيجة تفاعل الشاعر مع الخبرات المختلفة في الحياة ، وينتج عن الأحاسيس المفرحة أو المؤلمة التي يتعرض لها الشاعر في حياته ، وفي كثير من الأحيان يهرب الشاعر من الواقع الذي يعيش فيه إلى عالمه الخاص الذي يكون في الغالب نموذجيا من وجهة نظر الشاعر . هذه الصورة التي يكونها الشاعر للمجتمع، هي الصورة التي يقبلها لمجتمعه .

إن عاطفة الإنسان لها دور كبير في تشكيل حياته بصورة عامة ، وهي في نفس الوقت تختلف **من** شخص إلى آخر حسب الظروف الاجتماعية و الحياتية التي مر بها كل شخص ، فنحن نرى أن موقفاً محدداً تختلف فيه ردود أفعال الناس، فنجد البعض يبكي على موقف ما بينما لا يُظهر فيه آخرون أي انفعال على الإطلاق وذلك يعود إلى الخبرات السابقة التي تعرض لها الفرد في حياته .[1]

إن شعراء الأردن لديهم مشاعر رقيقة وحساسة ويتأثرون بالواقع و بالقضايا التي تمر بها الدولة الأردنية ، ويتأثرون ويتفاعلون مع قضايا الأمة العربية بصورة عامة .يتشابهون في ذلك مع الشعراء في مختلف أنحاء الوطن العربي الكبير . إن الدارس لأسباب نمو الشعر الوجداني في الأردن يرى بكل وضوح أن أسباب ظهوره هي نفسها تلك العوامل التي ساعدت على ظهوره في الدول العربية المجاورة . لقد تعرض

[1] المعاني الوطنية عند شعراء الإمارة الوطنية ،د صالح قرقز ص40 .

المواطن الأردني في فترة الدراسة إلى أنواع مختلفة من الظلم و القمع و الفقر الناتج عن الاحتلال ، ومن أهم العوامل الاجتماعية التي تأثر بها المواطن الأردني في فترة الإمارة هو انتشار الفساد وغيره من الأمراض الاجتماعية التي تثقل كاهل أي مجتمع يسعى نحو النمو و التطور و البناء . لقد مثل الشعر الوجداني لشعراء الأردن المكان الآمن للتعبير عن مشاعرهم و أحزانهم و الهروب من الواقع الصعب الذي عنوانه الفساد و الفقر و التملق إلى عالم الشعر الوجداني الذي يحمل الصورة النموذجية للواقع الذي يجب أن يعاش .

لقد أبدع شعراء الأردن في موضوعات عدة ومن أبرزها على الإطلاق وصفهم للطبيعة المحيطة بهم ، وكذلك إبداعهم في الغزل العذري ووصف الخمر حيث احتلت تلك الموضوعات الشعرية جانباً كبيراً في شعرهم . ونجد من الشعراء من تميز في موضوعات مختلفة خاصة في مجال الغزل والوجدان وقد قدم الشعراء صورا شعرية إبداعية عكست إبداعا سابقا للبيئة الاجتماعية التي تحيط بهم . فالبيئة الغجرية التي احتضنت عرار على سبيل المثال، لم تكن البيئة الحقيقية التي ينشدها شاعر مثله، بل كان بوسعه أن يجد أفضل منها إذا قصد المجون والعبث، ولكن صدق انتمائه لشعبه ووطنه، ورفضه لأشكال الظلم التي تمارس بحق هذا الشعب، ألهب وجدانه، وجعل من خرابيش الغجر مثلا في المساواة والعدل، ودفع الظلم عن الناس. لذلك كان غزله بتلك الغجريات، هروباً من مجتمع تعبث به الرياح، ويمارس فيه الظلم والفساد، إلى مجتمع يراه أكثر عدلاً وأهدأ بالا، عله يجد فيه خلاصه من الهموم والمصائب،والنماذج الشعرية في الصفحات القادمة تبين لنا عمق الإنجاز الأردني الشعري في تلك الموضوعات خاصة ما يتعلق بالوطن و المواطن . وتساعدنا القصائد التي سيأتي ذكرها في بيان إنجازات الشاعر الأردني وقيمته الفنية في وسطه العربي الكبير ومدى إبداعه .

وصف الطبيعة

اتخذ شعراء الأردن من الطبيعة مكاناً يبدعون فيه ويظهرون قدراتهم الشعرية العالية عندما صنعوا منها ملاذاً لهم، بدأوا يشعرون بتلك الأمراض الاجتماعية المتفشية،وهذا امتداد للبيئة الشعرية العربية المجاورة لهم . إن شعر الطبيعة يؤكد على تنمية المشاعر و الرغبة في تحقيق الذات لدى مجموع الشعراء في الأردن . ولجوء الشاعر إلى وصف الطبيعة والانشغال بها، دليل على بدء إحساسه بالأمراض الاجتماعية وأشكال الظلم المتفشية من حوله، وعرض الطرق العلاجية والوقائية، من خلال لوحات شعرية قريبة من أذهان عامة الناس، وهذه طريقة الشعراء الوجدانيين، كلما اشتدت عليهم وطأة القلق والاضطراب، هربوا إلى الطبيعة يصفونها أو إلى كأس خمر يعبونها، أو إلى معشوقة يتغزلون بها...، وغير ذلك من الوسائل التي تنقلهم من عالم الاضطراب إلى ما فيه بلسم جروحهم.

لقد برز من شعراء الأردن العديد من المتميزين وخاصة الشاعر الكبير (عرار) حيث اهتم عرار بصورة كبيرة بالطبيعة وكان لها نصيب كبير في قصائده ، حيث ذكر العديد من القرى و المدن و الأماكن المختلفة ، وكذلك وصف عرار في قصائدة الأشجار المختلفة التي تزرع في الأردن وكانت وسيلة قريبة إلى قلبه وقلب شعبه، لزيادة أواصر الترابط بين الشعب والأرض، ووسيلة تبعده عن التفكير بمصائب القوم وملمات العصر. وله في ذلك قصيدته (وتل بعجلون) يقول فيها:

وتل بعجلون قليل نباته أقول إذا شاهدته رأس أصلع
تحيط به الآكام خضرا هضابها ويرقبها في حيرة وتفجع
وبالقلعة العصماء للريض التي بناها صلاح الدين في رأس أمنع

خياما رأينا أذكرتنا بسالف من العز للإسلام عال ممتع
أسائل أبراجا بها قد تأبدت عن العصر بعد العصر ثم التصدع[1]

لقد وضح عرار من خلال شعره المتميز الوضع الأردني والمجتمع الأردني في تصوير جميل ومعبر، ولكن هذا التصوير الشعري يتضمن معاني اليأس والحزن من الواقع الذي يعيشه المجتمع الأردني في تلك الحقبة الزمنية. لقد ذكر الشاعر في إحدى قصائده التل الأصلع وفي هذا إشارة إلى جبل عجلون الكبير ولكن الشاعر استخدم التصغير هنا ليعكس حزنه من الواقع المعاش. فيجد المجتمع من حوله صغيرا، المواطن مسلوب الإرادة، والمسؤول لا حول له ولا قوة أمام الاستعمار، والفقير معدوم الوجود أمام الغني، فكل شيء أصغر مما يجب أن يكون، حتى الجبل المرتفع في نظره أصبح تلا صغيرا، ولكن تلك المعالم تعيد إلى ذاكرته أيام العز والمجد للدلالة الإسلامية في عصورها السالفة، وبهذا تسلية بالماضي لنسيان مرارة الحاضر الذي يعيشه الشاعر.

لقد ذكر الشاعر عرار العديد من الأماكن الجغرافية في الأردن ومن أبرزها ما ذكره عن مدينة الحصن حيث كان للشاعر في هذه المنطقة العديد من الذكريات ، حيث وجه شعره إلى الملك عبدالله بن الحسين وهو موجود في مدينة الحصن في العقبة التي كانت تشكل المنفى للشاعر .

أمولانا أمولانـــا (بأيلة) طال مثوانـــا
وكم "بالحصن" فاتنة تذوب أسى ذكرانـــا

[1]ديوان عشيات وادي اليابس، ص 244.

سعادتنا برؤيتهـــا وغبطتها بمرآنـــا[1]

ولقد اهتم عرار بهذه الأماكن الطبيعية، وذكر كثيراً من الأماكن في قصائده، منها:(الوادي) هو وادي اليابس، ويقع إلى الشمال من مدينة عجلون، (برما) قرية في قضاء جرش، (حسبان) قرية بالقرب من مادبا، (ماحص والفحيص) من قرى البلقاء، (الطفيلة والثنية) بلدان في لواء الكرك، (شيحان) جبل الكرك المعروف، (القويره) مكان بين معان والعقبة.

ومن قصائده (إنه الغور)، يذكر فيها بعض النباتات المألوفة لدى الناس ومنها قوله:

رويدك إنه الغور

به دوم وزعرور

وخرفيش ومرار

وعين، تخسا الحور

دع القطمون واللطرون

فالدنيا طبربور[2]

لقد امتاز شعر عرار في الجانب الوصفي للطبيعة باقترابه من الحياة اليومية للناس وهذا أدى إلى سرعة الفهم و التعلق بشعره و أدى كذلك إلى زيادة المحبة التي تربط بين الشاعر و العامة من الناس حيث ذكر

[1] عشيات وادي اليابس، ط2، 1998، ص 362.

[2] ديوان عشيات وادي اليابس، ص 265.

شجر الدوم الذي يكثر في منطقة الأغوار الأردنية، وكذلك الزعرور والخرفيش والمرار، وجميعها من بين ما يشاهدة الناس أمام عتبات البيوت بتلك المنطقة، ليخلص إلى ما يصبو إليه من التذكير باللطرون وغيرها من الأراضي العربية المحتلة.

ويعشق عرار الحياة في الضواحي و الريف حيث الهواء العليل و الجو النقي بعيدا عن صخب الحياة في المدينة التي تمثل حالة التوتر و القلق حيث يجد في الريف نقاء الجو والأنفس، بعيدا عن الزيف والظلم، واربد في ذلك العهد تعد من الريف الأردني، وله في ذلك قوله:

وسهل اربد قد جاشت غواربه بكل أخاذ من عشب ونوار
دعي المدينة لا يخدعك باطلها فزيفها بين من غير منظار [1]

عبدالمنعم الرفاعي من شعراء الأردن الذين تميزوا في التعبير عن أحزان الأمة العربية بصورة عامة و عن الأردن بصورة خاصة ، فمال ببعض قصائده إلى الطبيعة **يشكو همه وينفس عما في خاطره، وله** في ذلك قصيدته (الزهرة الذابلة) ومنها قوله:

قد طلع الصبح فأين الشذى وفيك حلم كان يرجو الصباح
ورونق الحسن خبا سحره وأسدل الليل عليه الوشاح
وأذبل الورد على عوده ومال مفتر وأغفى أقاح
وقد جفاك النور يا زهرتي وعاقرت جنبك هوج الرياح
مواكب الزهر مشت في الربى وزهرتي في حوضها المستباح
فانثني أمسح من دمعها وأغتدي ألثم منها الجراح

[1] ديوان عشيات وادي اليابس، ص 65.

يا دار هل بعد الكرى يقظة تلقي على ساحك غض الصباح[1]

لوحة جميلة من لوحات الرفاعي التي تعبر عن إحساسه الصادق وفؤاده المكلوم، عندما يشاهد مواكب الزهر تسير وزهرته ذابلة مسلوبة الحسن مستباحة ينثني ليلثم جراحها، متميناً قدوم فجرها الذي تستيقظ به، ويعيد إليها حسنها وجمالها.

لقد وصف الشاعر الرفاعي البيئة العربية بصورة متميزة و أظهر جمال الوطن العربي **ومن الأمثلة على ذلك وصف ليلة مقمرة في شط العرب** بقوله:

أنا في غمرة السنا الزخار أصل الليل ساهرا بالنهار
وأشبابي، أكلما لاح سحر حجبته الهموم عن أنظاري
فحفيف النخيل بعض زفيري واختباط المياه من إعصاري
في السهول الرحاب في نفس الصبح وفي الروض ماس بالأزهار
أيها الشط رأفه بفؤادي فهو أوهى من نسمة الأسحار

ويمضي في قصيدته ليبين مدى حبه وتعلقه بتلك الأرض قائلاً:

ما الذي يملأ الضمير غراما ويروي مرارة الأسرار
ما الذي ساقني لبغداد حتى عدت للشوق بعد طول النفار
فإذا بي أمام خلق بديع كان بالأمس زهرة الأبكار
كان بالأمس في فمي قبلات أجتنيها من ثغرها المعطار
يا صباها وما أعز صباها أي كف عاد كواك بنار

ثم يخاطب الشط، مبيناً أن المصاب واحد، ولن تستطيع الأحداث أن تفرق بينهما فيقول:

ملت عني وملت عنك زمانا فكلانا في غربة وإسار

[1]ديوان المسافر، عبد المنفعم الرفاعي، ص 200.

أترى مسك النوى يا حبيبي فكساك الأسى حجاب غبار
فرقتنا الحوادث السوداء لكن جمعتنا عجائب الأقدار
فوصلنا السنين في لحظات فتلاشت في حبنا القهار [1]

الزهر، رمز للحسن والجمال، يتناوله الشعراء بقصائدهم ليرمزوا به إلى أرضهم وأطفالهم أو معشوقاتهم، فيبينوا مواطن الرقة والحسن، وما يبعثه الزهر من راحة للنفس، ليخلصوا إلى رسم لوحة لزهرة لحقها الهوان بعد أن كانت تزهو برونقها وعطرها. فلننظر إلى تلك الصورة التي رسمها حسني فريز في قصيدته (نهاية زهرة) حيث يقول:

هذه الزهرة كانت حالية بين زهر الروض كانت زاهية
ربما إهتزت بما جاد الندى وانتشت بالنسمات السارية
ودنت للنجم في نشوتها تحسب النجم عقودا دانية
ظنت الفجر حبيبا تائها بهواها ومناها الغالية
ظنت النور رسولا عابثا قانعا بالدغدغات الحانية
رقصت ما رقصت في نشوة وتثنت بالثياب الحالية

ويمضي الشاعر في قصيدته، يصف حال الزهرة الجميلة في روضها زاهية منتشية إلى أن يلحق بها الهوان فيقول:

فأتتها الريح في نور الضحى ورمتها بالسهام الحامية
سقطت فوق الثرى محمومة لا ترى عينا عليها باكية

[1] ديوان المسافر، ص 180.

ما درى الفجر ولا النور بها أنها بعض حطام بالية[1]

هذه حال الأرض العامرة بأهلها، تعصف بها نوائب الدهر فتجعلها خرابا خاوية، فتتألم لفراق الأهل، كتلك الزهرة التي رمتها الريح بسهامها، فجعلتها حطاما، لا تجد من يسعفها ويبكي عليها.

مشهد آخر من مشاهد الطبيعة التي تسلب الشاعر حسني فريز همومه وأحزانه، يتمثل في قصيدته (آذار) ومنها قوله:

آذار في أزهاره وفتونه والواد في غض الصبا وجنونه
والماء صفق في حواشي وشية والطير تياه بشجو لحونه
هذي الروابي الخضر هب نسيمها نشوان يحمل سرها بغضونه
عبث الزهور بردنه وأريجها الوسنان في تفتيره وسكونه
يسري إلى الأشجار وهي مشوقة فيشوقها بعبيره وبلينه
وتموجت مثل العرائس في الدجى وتبرجت رأد الضحى لفتونه
في الناعمات الخضر من أراقها غنى الهوى أو بات طي حنينه
فالزهر في أكمامه متبسم أو ضاحك من وسوسات قرينه

هكذا يغوص الشاعر في أعماق الطبيعة ليصف مشهدا من المشاهد المألوفة في الطبيعة الأردنية، وهذا أسلوب يمكنه من امتلاك القلوب والأحاسيس ليسكب فيها قوله:

هذي الجنان فأين مطلع حورها أين التي تحيي الهوى بطعينه
بعد الليالي البيض من أفراحه أتراحه غصت بفرط أنينه[2]

[1] ديوان هياكل الحب، حسني فريز، ج 2، ص 44.
[2] ديوان هياكل الحب، ج 2، ص 45 – 46.

وهذا ما قصد الشاعر الوصول إليه، فالسعادة لا تدون لأحد، وقد يعقب الأفراح أتراح تنكد صفو العيش، وتبعث الأنين والحسرة.

وله في وصف دار السلام قوله:

دار السلام تحياتي وأشواقي — من عاشق صادق في الحب خفاق
وطالما حن فاعتاقت مطامعه — دنيا تعوق المنى في غير إشفاق
وها هو اليوم من ليلاه في رغد — يبوح بالشوق أو يصغي لمشتاق
إني حملت غرامي وهو لي شرف — كما حملت لأواهين عشاق
فتلك بغداد لا هند ولا دعد — أم المحبين تعطيهم بإغداق[1]

نلمح من أبيات الشاعر، ما أصابه من وجد واشتياق لبغداد، مشيرا إلى المعوقات التي تحول بينهما. فما ورثه الاستعمار من رسم للحدود المصطنعة، يعيق التواصل بين أبناء هذه الأمة، ويولد في نفوس الشرفاء الألم والإصرار على التواصل. فإن لم يكن بوسعهم التصريح بذلك، يمكنهم التلميح والإشارة بقصائدهم الزاخرة بالوجد والحسرة. ويمضي الشاعر في قصيدته مستعرضاً تاريخ بغداد عبر القرون الطويلة، مبينا دورها التاريخي ومكانتها بين المدن الأخرى.

لقد وصف الشاعر رفعت الصليبي عدة أماكن في الأردن ومن أبرز قصائدة المتميزة في وصف وادي السلط، قصيدة بعنوان (ليالي وادي السلط) ومنها قوله:

يا ليالينا بوادي السلط قد — عاودت قلبي ذكراك فحنا
ها هنا الجدول يشدو طربا — وهناك الطير في الأغصان غنى
وأزاهير الربى في نشوة — راقصات كالغواني تتثنى
والغصون اللدن يدنيها الصبا — فترى في الدوح غصنا ضم غصنا

[1] المصدر السابق، ص 93.

والنسيم الرطب يسري سحرا حاملا رجع حديث الحب عنا

عرس لم يشهد الدهر له مثلا في الأيك تطريبا ولحنا

وبعد أن يصف الشاعر جمال الوادي وسحره، يتمنى أن يعود أنسه وجماله ولياليه العامرة بالفرح والسعادة، بعد أن خيم عليه الظلام والهجر، فيقول:

هل إلى الوصل سبيل بعدما شطت الدار وقد بانوا وبنا[1]

لم يكن الاستعمار وحده سببا في تفجر العواطف الحزينة، والقلوب المفجوعة بين أبناء الأمة، ولكن الظلم والفساد الناتج عن التسابق في الطمع والجشع، أعمى العيون عن المقهورين الذين ما وجدوا سوى أقلامهم التي لا تنطق إلا تعبيرا عن شدة ما لحق من وجد وأسى، ومنهم على سبيل المثال، حسني زيد الكيلاني، الذي تمتاز قصائده بالرقة والعذوبة وتدفق الوجدان[2]، ومن قصيدته (أنا والشتاء) قوله:

إن حكم الشتاء أمر شديد حين تطغى بجيشها الأنواء

حين يبدو وجه الدجى مكفهرا وتهب الزعازع النكباء

حين أرنو إلى الوجود بعين ليس فيها بأي فرد رجاء

لي لحاف أعوذ بالبرد منه وغطاء يغار منه الهباء

ثم يصف غرفته التي تأويه بقوله:

غرفتي؟..غرفتي كحظي نهارا لم يصلها من عهد نوح ضياء

بابها، في العلو من دون صدري فلرأسي عند الدخول انحناء

[1] من أعلام الفكر والأدب في الأردن، محمد أبو صوفه، ص318، والحركة الشعرية في الضفة الشرقية، د. عيسى الناعوري، ص96

[2] أنظر من أعلام الفكر والأدب أبو صوفة، ص 169.

ثم يصف ما أصابه من حسرة وبلاء بقوله:

صفع الدهر هامتي، فحياتي حسرات تمر بي وبلاء
جئت في عالم الوجود لاحيا وحياتي هي البلى والفناء
إن وجه الرغيف أجمل عندي من جمال تسمو به العذراء[1]

إنها أبيات لا تعبر عن دعابة الشاعر، ولكنها حقيقة عاشها وذاق مرارتها، فولدت في نفسه الحسرة، وجعلته للعذاب صديقاً ولليأس شقيقاً.

وصف الخمرة

إن أماكن اللهو و المتعة و الشرب ، هي بلا شك إحدى الطرق التي تسهم في شفاء العديد من الشعراء من الضغوط النفسية و الاجتماعية . تلك الأماكن التي تشتمل على الطبيعة والغزل والخمرة والشكوى، وغيرها من الأماكن التي ينشد فيها الشعراء علاجهم وشفاءهم. وشعراء الأردن، كغيرهم من الشعراء في البقاع العربية الأخرى، لهم همومهم وعثراتهم، التي تدفعهم إلى تعاقر الخمرة، سعيا وراء النسيان، والابتعاد عن معترك الهموم والمهانة. فكلما اشتدت أزماتهم النفسية والاجتماعية، كانت الخمرة ملجأهم الذي ينقلهم عن تلك الأزمات المؤلمة، حتى ولو لم يتعاطاها، وفي ذلك يقول عرار:

قال الأطباء: لا تشرب فقلت لهم: الشرب لا الطب شافاني وعافاني[2]

[1] جريدة الجزيرة، عدد 1031، 1941/2/1م، ص 2، والحركة الشعرية في الضفة الشرقية، عيسى الناعوري، ص 104، ومن أعلام الفكر والأدب في الأردن، محمد أبو صوفة، ص 173–174.

[2] [2]عرار شاعر الأردن، يعقوب العودات، ص 78.

فعرار

لا يهمه قول الوشاة، ما دام في الكأس شفاء للنفس من يأسها، يقول:

هات اسقني قعوار ليس يهمني قول الوشاة: عرار سكرانان!
فالكأس لولا اليأس ما هشت كبد ولا حدبت عليه يدان[1]

لقد كان عرار من الشعراء الذين أغرموا بالخمرة، فتحدث عنها بالتفصيل وجعل مجلس الشراب مقترناً بالغناء في كثير من الأحيان، وبخاصة عندما بدأ عرار يذهب إلى مضارب النور (الغجر) الذين كانوا يسكنون في أطراف مدينة إربد، ولكن الشاعر الذي كان يعيش في مجتمع ذي ظروف اجتماعية وسياسية قلقة ومضطربة، فإنه يصرّح تصريحاً واضحاً بأن الخمرة التي كان يشربها ما كانت إلا هروباً من آلامه وأحزانه الناتجة عن آلام وأحزان مجتمعه وشعبه ،فهي خمرة التسلي والخلاص فيقول:

هات اسقني قعوار ليس يهمني قول الوشاة عرار سكرانان
فالكأس لولا اليأس ما هشت له كبد ولا حدبت عليه يدان
والخمر لولا الشعر ما أنست به شفة الأديب وريشة الفنان[2]

[1] المرجع السابق، ص 79.
[2] عشيات وادي اليابس، ص 385.

لا يهتم عرار بما يقوله الوشاة، فليس مهماً عنده أن يقول الناس عنه أنه سكران ويعاقر الخمرة، ويبرر إقدامه على شربها، ويرى ذلك أن اليأس يقوده إلى شربها، ويرسم للخمرة صورة تنتشي لها الكبد وتحدب على كأسها يدان، وهي خمرة جميلة تبعث على السرور لحظة الشعور باليأس.

وبعد أن غاص عرار في مجتمعه وكشف آلامه التي ربما عجز عن علاجها، وجد أن في شرب الخمر طريقاً للخلاص، يقول :

أبعد هذا أجب يا شيخ من حرج علي إما قضيت العمر سكرانا

وكيف بالله ربي سوف يمنعني وهذه قصتي عفواً وغفرانا[1]

وقد كان لعرار رؤية خاصة وفلسفة ذاتية عندما يتحدث فيها عن شرب الخمرة ومعاقرتها. لأن معاقرتها غير مرتبطة بالجانب الديني كما يرى عرار، وإنما وجد أن في الخمرة خلاصاً وإنقاذاً له من الأوضاع المزرية التي كان يعيشها مجتمعه آنذاك. فهو يعارض موقف الشيخ الذي يحرّمها ولا يأبه بما يقول، لأن له فلسفته الخاصة وموقفه الخاص، ويقول:

فأدر كؤوسك، يا أبا ناصيف، مترعة روّيه

وأحل مقال الشيخ إن أفتى بحرمتها عليّه

إن الذي تُسبى موا طنه تحل له السبيّة

عبود يا ناعي النها ر على المآذن في العشيّة

[1] المصدر نفسه، ص 348.

قسماً بماحص والفحيـ ص وبالطفيلة والثنيـة

وبمن شقيت بهن وهي بأهلها مثلـي شقيــة

ليس الهدى وقفاً علــى فئة الشيوخ الأزهريـة

إن الحياة لها قــوا عد غير متن الخزرجيّة

فنبيذ (قعوار) اللذيذ وأنة الناي الشجيـــة

وهيامنا بالغانـيـا ت من الأمور الجوهرية[1]

تكشف هذه الأبيات عن تعارض رؤية عرار وتصادمها مع رؤية رجال الدين، فتحريم رجال الدين للخمرة لا يعني عدم تحليلها عنده، ويعلل الشاعر سبب تحليله لها. ولذلك يجد أن من تسبى بلاده تصبح السبية أي الخمرة محللة له، وكأنّ شرب الخمرة قادر على أن ينسيه همومه التي بلغت من نفسه مبلغاً كبيراً. وهو يرى أن شرب الخمرة لا يعني انعدام الهداية، لأن الهداية ليست وقفاً على شيوخ الأزهرية، وهو يرى أن المرأة والخمرة من الأمور الجوهرية في الحياة، لا يستطيع أن يظل بعيداً عنهما ليس إباحة ، ولكن علاجاً لنفسه عندما استحال علاج غيره أبناء مجتمعه.

إن القيود الاجتماعية والدينية المتمثلة بنموذج الشيوخ كانت من العوامل التي أشار إليها عرار في ديوانه، ولكن هذه الإشارة لم تكن من أجل منعه منها، بل من أجل تصريحه بأنه لا يستمع إلى تلك الأصوات التي كانت تحرّم شرب الخمرة، ولكنه يرى أن شرب الخمرة من الأشياء الجوهرية في حياته، ونجاحه، بعدما

[1] عشيات وادي اليابس، ص 472 وما يليها.

عانت نفسيته معاناة قاسية من الهموم الاجتماعية والسياسية، وقد كان عرار يرى أن الليل المظلم الذي يعيشه ليس له من صبح إلا بالشراب، يقول:

هاتها واشرب فمثلي مالـه يا أخي عن دكة الخمار ندحُ

إن هذا العمـر ليل مالــه يا أخي في غير أفق الكأس صُبحُ

وبهذا إشارة إلى ما وصل إليه عرار من الإحباط واليأس ،ثم يقول:

هاتها واشرب فقوم يكاد من فرط ايقاظي لهم صوتي يبح[1]

إن الخمرة عند عرار ليست خمرة اللهو والمرح والفرح، إنها خمرة التجاوز والفلسفة والرؤية التي تسعى إلى أن تجعل الخمرة وسيلة يستطيع الشاعر من خلالها أن يبوح بما في نفسه، فهو يائس من قومه ومن مجتمعه، وعندما يرى انسداد الأفق في مجتمعه وفي قومه، فكان يلوذ بالخمرة، الخمرة المخلّصة من الواقع المأساوي المأزوم.

ومما يؤكد ارتباط الخمرة بنزعة فلسفية عند عرار تلك القصيدة بـ "راهب الحانة"، فهي قصيدة تحمل رؤية الشاعر وتجسّد انفعالاته وموقفه من الحياة بشكل عام. يقول عرار:

راهب الحانة إنــي قيس لميـاء دنانـك

فَمرُ الأكواب تدنــي شفتي من ثغر حنانك

علّــه يفترُ ثغـري

[1] عشيات وادي اليابس، ص 171، ص 174.

إذ أرى في كأس خمري

رغم أحداث الزمـان

لتباشــير الأمانــي

بابتسـامات حنانـك

ضـوء فجـــر [1]

تتضح رؤية عرار في خطابه لراهب الحانة، ومحاورته له، وهي رؤية تعبر عما يتميز به من مواقف إنسانية، حالمة بالأماني والطموحات، والابتسامات، التي يمكن أن تحمل معها هبة التغييرلهذا العالم الداكن الأسود، فضوء الفجر المتمثل بالأمل والحياة والانفراج، لا يرى عند عرار إلا في كأس الخمر، وعندما لا يجد هذا الكأس فإن الدنيا تظل قاتمة ومسودة أمام ناظريه ولذلك ليس غريباً أن تشيع فلسفة الخيام وروحه في جُل منظوم عرار ومنثوره، ويلاحظ ذلك كل من تعمق في فلسفة الخيام وقرأ عراراً شعراً ونثراً، ولقد حمله تأثره بالخيام على ترجمة رباعياته نثراً ونشرها في عام 1925 فصولاً في مجلة منيرفا [2].

إن النزوع إلى الخمرة عند الشاعر ناتج من إحساس دفين ترعرع في الوجدان بأن الخمرة التي يسعى الناس إلى تحريمها، كانت عنده خمرة ذات بعد فلسفي فيها نزعة التمرد على المجتمع وقوانينه وأعرافه وأحكامه لقد كان الشاعر ينطلق من منطلق الإحساس بالغربة في المجتمع، والغربة قادته إلى آفاق الصحوة الماثلة بشرب الخمر والتغني بها. ولهذا ليس غريباً أن تكون الخمرة عند عرار هي للنسيان وطريقاً للخلاص.

[1] المصدر نفسه، ص 487 وما يليها.
[2] البدوي الملثم، عرار شاعر الأردن، دار القلم، بيروت، د. ت ص 78.

ويتضح للمستعرض لحياة الشاعر الكبير عرار أنه قد صاحب الخمرة وأصبحت تشكل أساسا في حياته اليومية . ولكن نشتم رائحة الألم والحسرة في جميع أشعاره، إنه يوعز السبب وراء هذا، إلى ما يعانيه شعبه من ضروب الخسف والمعاناة، جراء المستعمر الأجنبي ومن يؤازره من أصحاب الجشع والطمع، ولذلك لا يأبه بلوم اللائمين، فنراه يستمر في توضيح مبرراته لهذا السلوك، علهم يتركوا هذا التعنيف بعد معرفة حاله، وتوضيح قصته، ومن قصيدته (يا جيرة البان) يقول:

أصبحت أمسا ويأسا فادن خابيتي أسبح الكأس أو استغفر ألحانا
وقل لعبود أن أنحى بلائحة لا تبذل الوعظ يا أستاذ مجانا
فالقوم قومي وهذا موطني وأنا من تالد أسأل الغوغاء إحسانا
والناس كالكأس رجس والوجود كما أيقنت حملانه بالفتك ذؤبانا
والكون غيل لعمري لست فيه أرى غير السعالى تناجي اليوم غيلا
فأم طنوس قد ضاقت بصحبتنا ذرعا وذابت حياء من بقايانا
أبعد هذا أجب يا شيخ هل حرج علي إما قضيت العمر سكرانا
وكيف بالله ربي سوف يمنحني وهذه قصتي عفوا وغفرانا[1]

وهناك من يدمنون على الخمرة لمجرد السكر، دون هدف أو مبرر لذلك، وما أكثر هؤلاء في مجتمعاتنا، ولكن عرار ليس من هؤلاء، حتى ولو اتهمه الواشون بالهروب، وعدم إستفادة بلاده منه، فيرد عليهم قائلاً:

دعوني بهذا الكأس والطاس أتقي صروف الليالي كلما خطبها لجا
فإن بقلبي من عفاء جنوبه وجوما من الذكرى وإني لها أشجى
يقولون إني إن شربت ثلاثة فلا خير للأردن من همتي يرجى
ثقي أن من يهديه حب بلاده وإن أومن الصهباء لا يخطئ النهجا[2]

[1] ديوان عشيات وادي اليابس، ص 7–8.

[2] ديوان عشيات وادي اليابس، ص 46.

لقد دفع عشق الأرض الشاعر الكبير عرار إلى مقاومة العدو و القهر المتمثل في الاستعمار البغيض ولكننا نرى أن الشاعر عندما يصاب بالإحباط وعدم القدرة على تحدي العدو يلجأ إلى الخمرة حتى يخرج من حالة الإنزعاج المسيطرة عليه .بالإضافة إلى أن الخمر عنده، سبيل للصحو واليقظة، غير مبال في ذلك، معزيا نفسه بأن الله . سبحانه . عفو غفور، ولا يمكنه رد قضاء الله وقدره، فقد اختار طريق الحانوت بعد أن بح صوته وهو ينادي قومه ليفيقوا من غفوتهم، ولكن لا حياة لمن تنادي. وقصيدته (أنفاس عيد الفصح) تشير إلى تلك المعاني، ومنها قوله:

هاتها واشرب فإن اليوم فصح قبيح بالفتى في العيد يصحو
إن هذا العمر ليل ماله يا أخي في غير أفق الكأس صيح
إنها رجس ولكن ربنا شأنه عفو وإغضاء وصفح2

لقد تعرض عرار إلى ظروف حياتية قاسية وصعبة ،وكذلك تعرض إلى نوع من الإهانة من قبل أعداءه وذلك ثمنا لدعمه للمجموعة المستضعفة من أبناء وطنه وعمله على مواجه الفساد ، ورفضه الانصياع للكثير من قرارات الحكومة، يدرك تماما أنه ما لجأ إلى الخمرة وغيرها، إلا تخفيفاً لمصابه الجلل، وجرحه العميق الناتج عن الأوضاع المتردية التي تمر بها بلاده وأمته[1]. ومما قاله في قصيدته (توبة عن التوبة) الأبيات التالية:

لو أني أرأس الوزراء أو قاض كمولانا
لألغيت العقاب ولم أدع للنفي إمكانا
أما وأنا من اتخذوه للإرهاق ميدانا

[1] انظر في ذلك، مواقف ودراسات في الشعر الأردني الحديث، سليمان الأزرعي، جـ1، ص 36، وانظر عرار شاعر الأردن، يعقوب العودات، ص 57.

فمن سجن إلى منفى لآخر شط أبوانا

وبعد أن يخلص من ذكر أشكال العقاب الذي لحق به، يأخذ نفسه لمشاهدة النورية الحسناء، وتناول كأس الخمر الذي يحمله بعيدا عن عالم الضنك والمعاناة قائلاً:

فهات الكأس مترعة من الصهباء ألوانا
يطالعنا بها حبب كعين الديك يقظانا
ولطف الكأس إثر الكأس نشربها تولانا
فحسبي بالنخيل الباسق الفينان جيرانا
وبالنورية الحسناء والصحراء ندمانا[1]

لقد أراد عرار أن يحقق وجوده ووجود مجتمعه في هذا العالم المليء بالقهر والاضطهاد، فزج نفسه في معترك الحياة القاسية، وأصابه ما أصابه من الحكومات والمسؤولين، مما اضطره إلى الهروب أحيانا في مسالك استهجنها مجتمعه، وجعلها مأخذ من المآخذ السلبية التي شهرت بالشاعر، وشوهت صورته.

وإنني أذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور أحمد أبو مطر، في أن شاعرنا لم يعرف في حياته، وفي عقود بعد مماته، إلا من خلال الانطباع السلبي الذي كونه مجتمعه، ويعود ذلك إلى قصائد الشاعر المتعلقة بالسكر والغزل والنور، علماً بأن مثل هذه القصائد لم أر فيها إلا جانباً واحداً من جوانبه الشعرية المتعددة، ألجأته إليه الظروف الأليمة لمجتمعه2.

ولكن المتأمل في قصائده الوطنية والسياسية يتحتم عليه أن يدرك ما يتمتع به الشاعر من إنتماء لوطنه وشعبه، والوسائل الإعلامية، والمتكلمون باسم الدولة كان من واجبهم، تشويه صورة الشاعر والاكتفاء بإظهار

[1] ديوان عشيات وادي اليابس، ص 21–22.

[2] أنظر عرار الشاعر اللامتنمي، د. أحمد أبو مطر، الخاتمة، ص 247.

الجانب المجوني لتأليب العامة من المتمسكين بدينهم ضده، وإبعادهم عن الإطلاع على قصائده، ليكون للحكومة حجة في عدم نشر قصائده، وخصوصاً تلك التي يجابه فيها الظلم ويتحدي المرابين، ويفضح نوايا الغاشمين المستعمرين ومن يؤازرهم[1].

ولأن قصائد عرار المتعلقة بالخمرة، من أكثر قصائد الشعراء الأردنيين حاجة إلى توضيح اللبس الذي خيم عليها عقودا من الزمن، اقتصرت الحديث على قصائده دون غيره في هذا المكان، لمعرفة حقيقة الشاعر التي أغفلها الدارس الأردني فترة طويلة من الزمن. أما بالنسبة إلى الدراسات الحديثة التي أشارت إلى إيجابية الشاعر، فإنها رغم تحرجها أحيانا في تناول بعض القصائد السياسية، أعادت للشاعر بعض اعتباره الذي أغفلته سنين طويلة، وهيأت السبل أمام الدراسات التي يمكن أن تنصف الشاعر، وتضعه في مكانته المناسبة، بين إخوانه الشعراء في البيئات العربية المجاورة.

الغزل العذري

عند الحديث عن الغزل العذري يتبادر إلى أذهاننا الشاعر الكبير مصطفى وهبي التل (عرار) لأنه من أبرز الشعراء الأردنيين في هذا المجال .تناول عرار الغزل بشقية، الفاضح، والعذري، ولكن لا نشك في أنه اتخذ ذلك وسيلة يبث من خلالها شجونه ويشكو أرقه مما أصاب المناكيد من أبناء الشعب الأردني الذين تكبلهم أغلال الفقر والظلم. إنه شاعر الشعب الذي حمل على عاتقه أمانة الذود عن حقوقه. وعندما دعي ليلقي نماذج من أشعاره من محطة الإذاعة الفلسطينية، لبى الدعوة وألقى حديثا وصف فيه نفسه بعيدا عن التزويق والتنميق فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبعد، قال الله في كتابه العزيز: "والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم

[1] انظر المعاني الوطنية. د. صالح قرقز. ص61.

في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون صدق الله العظيم، وأنا إذ أذكركم بهذا لا أحب أن أرتفع بنفسي إلى مصاف الأولياء والقديسين، فأنا في حياتي الخاصة رجل من الناس."[1] وعندما وصفه أحد المتأدبين الناشئين بـ (شاعر النور) قال: "لم تزعجني هذه التسمية مع علمي بأن من أضفاها علي لم يرد بها وجه الله، بل أراد السخرية والتنديد[2].

لقد تميز الشاعر الكبير عرار بحب غير منقطع النظير للأمة العربية و الشعب الأردني ، بل كان همه رفع الظلم وتحقيق العدالة والمساواة بين فئات الشعب، هذا الهدف الذي طالما تألم وعانى الكثير من أجل تحقيقه. ومما عبر به عن شدة لواعجه قصيدته (شرب فطرب) ومنها قوله:

يا من تجشمه الألحاظ برح جوى وتنشه نغمات النأي والعود
دع عنك عذلي وطف بي بعض ناحيةٍ بكعبة من طيوف الغادة الرود
فالشوق توحي به للقلب ذاكرة كالشوق منبعثا من منظر الغيد
قف بي عليها رسوما للخيال لقد بها استحال وجودي غير موجود
يا رب ليل لقد أرهقته أرقا مما أعانيه من كيد المناكيد
إن كان من يعرب فيكم دم فلقد من بعضه حان وقت البذل والجود[3]

وأما عشياته، فقد بث من خلالها شكواه وأنينه، حين يخاطب (جميلة النورية) بقوله:

يا أخت سلمى في غناك عذوبة تبكي ويغرق دمعها أحزاني
ما شمت ومض اليأس في نبراتها إلا استبنت بشجوها ألحاني
ورأيت في مرآة بؤسك صورتي وقرأت فوق إطارها عنواني
وعرفت فيما أنت فيه من الأذى ومن الصغارة والهوان هواني

[1] عرار شاعر الأردن، يعقوب العودات، ص 99.
[2] المرجع السابق، ص 99.
[3] ديوان عشيات وادي اليابس، ص 245، وعرار شاعر الأردن، العوادا، ص 100.

أهلوك قد جعلوا جمالك سلعة تشرى وباع بنو أبي أوطاني

وذووك قد منعوك كل كرامة وأنا كذلك حارسي سجاني[1]

وقصيدته (يامي) من أجمل القصائد المعبرة عن الجانب الشاحب من حياته ومنها قوله:

هل تذكرين وأنت من غزلانه وادي الشتا والعمر في ريعانه

فهنا هوى وهوى هناك وثالث وقف عليك وأنت من أعيانه

ما مي ما ذنبي إذا فر الصبا ومضى ولم أجد الشباب لشانه

وسواد شعري حد من غلوائه ومشى المشيب إلي قبل أوانه

فالمرء يدرك ما يشاء من المنى بالسعي والتأييد من إخوانه

وأنا الذي جحد الأحبة فضله وأعان أصدقهم على خذلانه

يرى أنه شاب قبل أوانه لشدة ما أصابه من حسرة وحرقة، فاستحوذ عليه اليأس وتملكه التشاؤم قائلاً:

وتوسدي صدري وحسبي نعمة هذا الذي توحين من خفقانه

مالي ودنياهم فحبك عالم أسمى ولن يصل الأذى لكيانه

من لم يكن ذئبا فإن زمانه يغري به العشرات من ذؤبانه[2]

يخلص الشاعر إلى قربه من مي خير له من دنيا قومه، ما دامت الريح تعبث بها. ومن أشعاره المعبرة عن حزنه وحنينه إلى سلماه، قوله:

صرعته بعد تطاحن وعراك لغة العيون وجرعة الكونياك

فمشى إلى الكوخ المقدس دالفا بخطى تئن وذكريات بواك

سلمى أناشدك الإله وحبنا أيام كنت ولم يكن إلاك

يا ظبية الوادي وما الوادي إذا لم تؤنسيه ومن أنا لولاك

سلمى إلى الأفق البعيد تطلعي فهناك سوف ترينني وأراك

---

[1] ديوان عشيات وادي اليابس، ص 3.

[2] ديوان عشيات وادي اليابس، ص 95 وما بعدها، وعرار شاعر الأردن، العودات، ص 277.

سلمى بوادي السير أجهشت الربى وتلاعه الغنا بكت لبكاك[1]

أبيات حزينة قالها الشاعر على أثر طلاق زوجته الشركسية، بسبب خلاف شب بينهما، وكان سببه إفراط الشاعر في الإنفاق على الفقراء، ولو كان ذلك على حساب زوجته ونفسه، فحزن لفراق زوجته، وأخذ يتذكر أيامه السعيدة التي قضاها لجانبها2.

وما أجمل أن نعرج إلى قصيدته (تسول شاعر)، التي تعد تاج وجدانياته ومنها قوله:

بين الأنين وغصة الذكرى أبعد بعمر ينقضي عمرا
وانفض يديك من الحياة إذا يوما أطقت عن الهوى صبرا
ما قيمة الدنيا وزخرفها إذا كان قلبك جلمدا صخرا
يغضي إذا حيته آنسة ويهش إن نظرت له شزرا
ظبيات وادي السير هل نفرت من سر بكن الظبية السمرا
فهي التي خطت أناملها في سفر حبي آية غرا
ومضيت أسأل كل فاتنة كرما وجودا نظرة شزرا
ريانة الألحاظ من حور زيدي رسالة حبنا سطرا
سكرانة الألحاظ مرحمة حني علي بنظرة سكرى
هلا اتقيت الله في كبد حرى وعيش حلوه مرا[3]

ولعلنا نلاحظ من خلال القصائد المختلفة للشاعر الكبير عرار وخاصة قصائده الغزلية أن أسلوبه في الغزل يميل إلى عشق الصورة الجمالية التي تتجلى فيها ايات الكمال و العشق سواء كان هذا جمال البيئة

[1] عرار شاعر الأردن، العودات، ص 215.

[2] أنظر عرار شاعر الأردن، العودات، ص 214–215.

[3] ديوان عشيات وادي اليابس 33 وما بعدها.

المحيطة أم جمال المرأة التي يعشق أو حتى صورة الوطن الجميل . وإنني لا أجد في شعره ما يكشف مفاتن المرأة، بل كان محتشما في جميع قصائده الغزلية، ولم يذهب إلى ما ذهب إليه أصحاب المذهب الحسي، فهو لا يعرف الخوف ولا المحاباة، ولو كان حسيا لأعلنها صراحة ولكنه قال:

فليتق الله من ظن الهيام بهم غيا فيا بالهوى العذري من عار [1]

إن تعدد النساء الجميلات في قصائد الشاعر نجدها محددة بصورة واضحة في قصائدة الغزلية خاصة وكذلك نجد ذكر مناطق محددة في وطنه الأردن بصورة متكررة وجميلة يعطي انطباعا عن مدى حبه لوطنه وتعلقه بهذه الأماكن فذكر بعض الشخصيات مرتبط بذكر الوطن ويدل عليه . فأين النوريات اللواتي نسبوه إليهن، من حسناوات الشام وبيروت والقاهرة وعمان، تلك الأماكن التي أقام بها فترات طويلة؟ أليس بوسعه أن يعشق من تلك الأماكن التي أقام بها فترات طويلة أليس بوسعه أن يعشق من تلك المدن، ومن مستويات تليق به كشاعر للأردن؟ بوسعه ذلك، ولكن غرضه أسمى من أن يعرفه القاصي والداني، ومطاردته من ذوي الشأن، ولدت في نفسه اليأس، وحملته إلى الحديث بلسان اللهو، وارتياد الأماكن المنبوذة في عرف مجتمعه، وكان ذلك بدافع الانتقام من واقعة المر، وجريا إلى مجتمع لا يعرف الطبقية والتناحر، ولا الزيف والتملق، ولو كان ذلك على حساب سمعته ومصلحته الذاتية.

1ديوان عشيات وادي اليابس، ص 58.

والشاعر حسني فريز، من بين الذين ساهموا في ميدان الغزل العذري، وديوانه (هياكل الحب)، يزخر بهذه القصائد التي تتسم بجزالة الألفاظ، وعمق الوجدان، وقصيدته (تبكين يا ليلى)، من القصائد الباكية المعبرة عن صدق العاطفة، ومنها قوله:

تبكين يا ليلى؟ أحلما ما أرى؟ فيم البكاء وفيم دمعك جاري؟
تبكين حبا أم تراك حزينة من لي بفهم كوامن الأسرار
تبكين خوف الغدر؟ هل أنا غادر فيم الدموع لكاذب غدار
إني لأعلم أن شعري قد جنى لكن كبدي على أو طاري
لو تعلمين بأنني في وحدتي أطفو ورأسي في كظيم أواري
لو تعلمين بأن شعري هالة لم تدن دارتها من الأقمار
لو تعلمين بأن حبك أول لعرفت معنى الحب في أنظاري[1]

يتضح لنا من خلال استقراء الأبيات الشعرية عمق المفهوم الوجداني و الذي بدوره يعبر عن مكنون النفس و الأحزان التي تحملها . ولكن تكرار بعض الكلمات كقوله (تبكين) في الأبيات الثلاثة الأولى، و(لو تعلمين، وأن) في الأبيات الثلاثة الأخيرة، أسلوب يبعث الملل في النفس، ولا ترتاح لسماعه الأذن. وفي قصيدته (أنا الغريق) يقول:

سيطرح أليم قلبي وهو منفطر على رمالك منزوفا بلا رمق
فتعولين عليه وهو في شغل عن التوجع والآهات والحرق[2]

[1] ديوان هياكل الحب، ج 2، ص 17.
[2] ديوان هياكل الحب، ج 2، ص 19.

يميل الشاعر إلى المعاناة و الحزن الشديد في اللحظة التي لا تذكره عشيقته

، فتعصره الحسرة والكآبة، ولذلك تراه يقول في قصيدته (مضى الليل):

مضى الليل كل الليل والعمر رويدك ما ترجوه من عمرك الغالي
وماذا ترى يجديك أنك شاعر إذا أنت لم تخطر لهند على بال
تغني ولم تسمع، لما أنت منشد بحسك ما غنيت خيبة آمال
بقلبي جراح من زماني عميقة وفيه كآبات لكل مثال![1]

أن النظر إلى الظلام و الليل و الشعور بالمدة الزمنية الطويلة لهذا الليل ، دليل على مدى الاشتياق للمعشوق، مما يؤدي إلى تفجر الأسى وانهمار الدموع، لعدم اللقاء، ومن قصيدة (سراب) نقتطف قوله:

يا ليل، طال الليل وانبعثت من مقلتي الأدمع الحرى
وبكيت أنت أسى على أمل ضيعته في الغفلة الكبرى
ولقيت بعد هواي نازلة تركت بقلبي غصة أخرى
أخشى عليك من الزمان أذى فأقول عاشت للهوى ذكرى
وأرى الضنى يسعى إلى كبدي ويزجني في محنتي النكرا
ليت التي أحببت في رغد ونعيم عيش ظل مخضرا

دائما يفكر الشاعر بالحبيبة التي يرسمها في أجمل صورة ويدعو لها بالحياة الجميلة البعيدة عن الأحزان . ولكن نصيبه لا يكون إلا الأسى من تلك الذكريات، وما عليه إلا الصبر والتجلد ونسيان الماضي:

أما أنا فلي الأسى وإذا راجعت حلمي أحسن الصبرا
مالي وللماضي وما تركت بصميم قلبي تلكم الذكرى[2]

[1] المصدر السابق، ص 23.

[2] المصدر السابق، ص 20.

وقصيدته (قالت تحب الحسن) من غر قصائده التي يتحاور فيها مع معشوقته، ويبدأ هذه القصيدة بقوله:

قالت تحب الحسن إنك شاعر يشجي حديثك كل ذات سوار
إني أراك عرفت أحوال الهوى وحذقت وصف الحب بالأشعار
وجهلت معنى العيش، أي غريرة ترضى بعيش خادع غرار؟
أين الدنانير التي تبني بها قصر الغرام ودمية الأوطار

فيجيبها بقوله:

فأجبتها، وعلمت أني خائب مجد الفتى بالعلم والآثار
إني أعيش بغرفة في غربة إلا عن الأدباء والأحرار
وأرى المواكب للملوك وهزجها وأرى العزيز وذلة الجبار
عبدوا الدنانير التي تبغينها فتجلببوا من أجلها بالعار
ما أنت أول حرة مفتونة بالمال، تلك حكاية الأدهار
مثلي من الشعراء عاش ليومه لا للغد المملوء بالأسرار
يحيا كما يرضى الخيال بعالم أسمى وأعلى من هوى الدينار
لا يبتغي عرض الحياة لأنه فإن، وغاية أمره لبوار[1]

إن الدين الإسلامي هو الموجه للأخلاق العليا وهذا ما نجده واضحا تمام الوضوح في شاعرنا ، لا يبتغي عرض الحياة لإدراكه بأنها فانية زائلة، ويذكر معشوقته بأنها ليست الوحيدة المفتونة بزيف الحياة، وليست أول حرة تسعى وراء الغنى والبذخ. وهذه من الأمراض التي تؤلم الشاعر، وتولد في نفسه البؤس والخوف على مصير مجتمعه.

[1] ديوان هياكل الحب، ج 2، ص 21 – 22.

وأما الشاعر، رفعت الصليبي، فقد ساهم بقصائد غزلية لا تقل جودة وأهمية، عن غيرها من قصائد إخوانه في الإمارة وخارج الإمارة، ومن قصائده المعبرة، قصيدة (نسيان) ومنها قوله:

يا منية القلب الكبير وجنة الروح الحزينة
يا من نسيت الهوى الصبا وطويته هل تذكرينه
حلم كأحلام الكرى ولى وأعقبنا شجونه
ما لي أراك نسيته وهجرته لا ترحمينه
أنسيته حقا وهل ينسى حزين صبا حزينه
تتبالهين إذا رآك ولا أخالك تجهلينه
اليوم أضناه السقام وغضن الدهر جبينه[1]

وفي الممرضة الحسناء يقول:

أخشى عليك من العيون يا ربة الحسن المصون
أحلى من الورد الجني ومن تهاويل الفتون
عينان حالمتان يبدو الطهر فيها والفتون
تحكي إذا هي حدثت سجع الحمائم في الغصون
يتبسمة الأمل الطروب وقرة القلب الحزين

ويمضي الصليبي في وصف فتاته الجميلة، ليخلص إلى توضيح دورها وبيان أثرها في تضميد جراحه، التي تنطوي عليها نفسه المكلومة قائلا:

لولاك كنت غداة عاودني الضنى في الذاهبين
مرت يداك على جراحي فالتأمن وقد شفين
لكن جرحا داميا في القلب لم يشف السنين
لو تعلمين بما أكن من الجوى لو تعلمين

[1] الحركة الأدبية في شرق الأردن، سمير قطامي، ط 1، ص 108 – 109.

يا مي لو تدرين ما أخفي من الهم الدفين
يا مي بين جوانحي شتى النوازع والشجون
قد جئت ألتمس الشفاء فعدت من صرعى العيون[1]

يتضح لنا من خلال استعراض بعض النماذج من قصائد الشاعر بروز التدفق العاطفي وسهولة التعابير المستخدمة ، مما جعلها سهلة الفهم قريبة من الأذهان.

ويتضح كذلك ظهور العاطفة الحزينة في كثير من النماذج الشعرية الغزلية وما ذلك إلا نتيجة الأوضاع المؤلمة التي يمر بها أبناء الأمة ،لأنهم جزء من هذا المجتمع وعلى عاتقهم مسؤولية الذود عن المظلوم بالكلمة الصادقة.والأمثلة الشعرية في هذا المجال كثيرة لا يتسع المجال لذكرها وما أوردناه نماذج على سبيل المثال لندلل من خلالها على ما لشعراء الاردن من دور فاعل في محاربة مظاهر الظلم رغم تكميم الأفواه.

[1]من أعلام الفكر والأدب، محمد أبو صوفة، ص 317، والحركة الشعرية في الضفة الشرقية، د. عيسى الناعوري، ص 98.

الفصل الرابع

الشـــــعر الاجتـماعي

الفصل الرابع

الشـــعر الاجتـماعي

==========

في هذا الفصل نقف عند بعض القضايا الاجتماعية التي تعاني منها الشعوب ، وكيف ساهم شعراء الأردن في علاجها من خلال نماذجهم الشعرية فكانوا أطباء يتحسسون مواطن الألم عند المواطن الذي كان همهم الأول .

فالشعر الاجتماعي هو الشعر الذي يتناول صراحة بالتحليل والتفصيل قضية من قضايا المجتمع مثل : العدالة الاجتماعية ونشر التعليم ،وقضايا: المرأة والشباب والعمال ، ومحاربة الانحلال الخلقي ، والحث على الإصلاح عموما ؛ يكون التناول –غالبا– بتحديد الدّاء وتشخيص السّبب، واقتراح العلاج والدواء.

ساهم الشعر الاجتماعي في إصلاح الأوضاع نظرا إلى ما يبثه من وعي اجتماعي في نفوس الناس ، إذ يلفت الشعراء الانتباه إلى الأوضاع المزرية التي تعاني منها بعض فئات الشعب كالفقراء واليتامى والأرامل والعاطلين عن العمل والشباب المنحرف وغيرهم ....، يشخص الشعراء هذه الأوضاع ويضعون أيديهم على الجرح، وقد يشيرون إلى العلاج ، من ثمّ كان للشعر الاجتماعي الدور الريادي في تحسين تلك الأوضاع ، لما للكلمة المعبرة من صدى عميق في كل عملية تغييرية إصلاحية.

لقد درس الشعراء في الأردن أحوال المجتمع بصورة دقيقة من جميع النواحي الاجتماعية و الاقتصادية ، فوجدوا حالة سلبية في كثير من الأحوال ، وبذلوا ما بوسعهم في سبيل النهوض بالمجتمع، والعمل على إزالة الفوارق بين طبقاته، بالكلمة الطيبة حينا، وبالتصدي حينا آخر.[1]

لقد استمد الشعراء في الأردن أفكارهم وأحلامهم من واقع مجتمعاتهم ، وكذلك حرصوا على علاج المشكلات المختلفة ، و التي لم تنحصر في فئة معينة من الناس بل كانت تغطي العديد من الفئات و العديد من الطبقات وكذلك كانت تتناول المجتمع العربي ككل .

لقد قام الشاعر الأردني بعمل أساسي وهو تقديم النصح و المشورة للقادة في البلد ، وبذلك يكون الشاعر هو حلقة الوصل المتقبلة بين المجتمع المحلي و الفئة الحاكمة حيث تنقل هموم الناس، و أحلامهم وهذا في الحقيقة هو الدور الحقيقي للشاعر فهو مرآة المجتمع . وتتبعوا الفساد بأشكاله وأنواعه وعملوا على توعية المواطنين، وتشجيعه على المطالبة بحقه وعدم قبول الظلم، بالإضافة إلى التقريب بين المواطن والحاكم، من خلال عرض قضايا ومشكلات تسود المجتمع. فجعلوا من قصائدهم الاجتماعية، رسالة إنسانية تعمل على خدمة الأفراد والجماعات، وتدعوهم إلى نزع النقائص وعدم قبولها.

ولأن الشعر الاجتماعي له أثره على بناء المجتمع وإصلاحه، وبالتالي له انعكاساته على الوطن والمواطن، لا بد من الوقوف على بعض القضاياالاجتماعية التي عالجها شعراء الأردن أبان فترة الدراسة.

[1]أنظر الحركة الأدبية في شرق الأردن، د. سمير قطامي، ص 102.

أ . الفقــر والفســاد.

لقد كان الشعراء في الأردن رمزا للتحدي و العنفوان ضد المتطفلين و اللصوص و المنافقين في طبقات المجتمع المختلفة . وقد حارب الشعراء الطمع و الفساد ووقفوا إلى جانب الفقراء و الضعفاء . فشاعر الأردن (عرار) يهب من خلال مناصبه التي تقلدها، وصلاحياته المنوطة به ، في وجه تلك المجموعة الفاسدة، ليقول عندما كان مأمورا لإجراء اربد:

يا رهط شيلوخ من يأخذ بناصركم يجني على الحق والأخلاق والدين
أأسجن الناس إرضاء لخاطركم وخشية العزل من ذا المنصب الدون؟!
أم رغبة بتقاضي راتب ضربوا نقوده من دماء في شرابيني
هذي الوظيفة إن كانت وجائبها وقفا عليكم فعنها الله يغنيني
فالعزل والنفي حبا بالقيام به أسمى بعيني من نصبي وتعييني
إن الصعاليك مثلي مفلسون وهم لمثل هذا الزمان الزفت خبوني
والأمر لو كان لي لم تفرحوا أبدا من أجل دين لكم يوما بمسجون
فبلطوا البحر غيظا من معاملتي وبالجحيم إن أسطعتم فزجوني[1]

ومن روائع ما قاله عرار في نقد المترفين وأصحاب الثراء الذين شبعوا على حساب لقمة عيش الفقير، قصيدته (العبودية الكبرى) ومنها قوله:

يا هبر بي فقر كفقرك للإباء وللحمية

أو ما تراني قد شبعت على حساب الأكثرية

وأكلت بسكوتا وهذا الشعب لا يجد القلية

[1]ديوان عشيات وادي اليابس، ص 49 وما بعدها.

ولبست إذ قومي عراة غير ما نسجت يديه[1]

نرى من خلال استقراء قصائد الشاعر الكبير أنه يتميز بقوة وبعد نظر ، ونظرة ثاقبة نحو المستقبل ولديه شجاعة كبيرة في طرح الموضوعات و الأفكار التي تهم المجتمع ، تساعده هذه الشخصية الفريدة في اتخاذ القرارات ويساعده ميله الفطري للخير ليكون عنصرا مميزا في عالم الشعر الكبير . يشتمل على جميع المعاني الإنسانية التي كان المجتمع بأمس الحاجة إليها. فمقالته التي نشرها في صحيفة الكرمل الفلسطينية، تغص بهذه المعاني النبيلة حيث يقول: اللهم ساعدني على أن أزرع الأمل في القلوب، وأضمد الجراح، وأمسح الدموع، وأضيء شمعة في كل كوخ وفي كل بيت مظلم. اللهم ساعدني على أن لا أتخلى عن مظلوم وعلى ألا أخاف من ظالم، وأن أخضع للمنطق لا للقوة، وإذا انتصر الظلم لا تتركني أسير في موكب الشامتين وإذا وقع السيف أعطني القوة، لأساعده على التقاطه، ولا تتركني أطعن خصما جردته الظروف من سيفه، اللهم أسعد من حولي واملأ قلوبهم طمأنينة وحنانا، واحمل الأغنياء وذوي السلطان على مساعدة الفقير والأخذ بناصره ودفع الظلم عنه[2]

إن شاعرنا المبدع عرار يبرز في شعره صورة القهر و الظلم التي تدل على حالة من التميز في التصوير فهو يرى الظلمة يسيطرون على ثروات البلاد ويأخذون كل خيراتها ولكنه يرفض هذه الحالة . عمل الفاسدون على نشر الفقر والأمراض الاجتماعية بين الناس، ليتسنى لهم الوصول إلى أهدافهم الخسيسة. ولكن

[1]المصدر السابق، ص 26.

[2]الحركة الأدبية في شرق الأردن، د. سمير قطامي، ص 100.

عرار كان لهم بالمرصاد، فألب الناس ضدهم، وفضح نواياهم، حتى أصبح خصما وعدوا لتلك الطبقة المفسدة[1]

ولم يكن عرار في فلسفته الاجتماعية متطرفاً، وإنما كان ثائراً على الاقطاعية المجرمة والأنانية البغيضة، وداعياً إلى قيام مجتمع تعاوني حرّ، مجرد من الاستغلال السياسي والاجتماعي، يؤمّن للفقير خبزه، ويُيسّر له حياة تفيض طمأنينة وعدلاً.

وحينما كان مساعداً للنائب العام صبّ نقمته على جماعة المرابين، ورفض تنفيذ قرارات المحاكم بحبس الفقراء ، الأمر الذي أثار غضب المرابين، فوشوا به للمسؤولين حتى نقلوه من دائرة اجراء عمان .ويوم كان (عرار) يشغل هذه الوظيفة الحساسة نظم قصيدة بعنوان (إخواني الصعاليك) تفيض أبياتها عطفا واشفاقا على المناكيد الذين لقبهم بالمرابين، وأوسعوهم هوانا وعسفا، ومنها قوله:

قولوا لـ (عبود) علّ القول يشفيني إن المرابين إخوان الشياطين

وإنهم – لا أعز الله طغمتهـــم– قد (أطلعوا) رغم تنديدي بهم ديني

فذا يقول: غريمي كيف تمهلــه؟ وذاك يصرخ لم تحبسه مديونــي

كأنما الناس (عبدان) لدرهمهـم وتحت امرتهم نص القوانيـــن

يا رهط (شيلوخ) من يأخذ بناصركم يجن على (الحق) و(الأخلاق) والدين

[1]أنظر ما كتبه الدكتور تركي المغيض في مجلة، عرار، عدد 29، سنة 1997، ص 23 وما بعدها.

ومن يسهل أمرا فيه مصلحـــة لكم ف (ملعون) حقا وابن ملعون[1]

وتبدو تجربة الشاعر تجربة قائمة على الجرأة، الجرأة في الإعلان عن الموقف من الأشياء التي كانت تبدو محرّمة عند الآخرين وهي جرأة لم تتوقف عند حدود بسيطة بل تعدتها إلى جرأة على الأمور الدينية، فالشاعر اكتشف أن مهمته ليست مهمة عظيمة وإنما مهمة تقوم على الحرية في الرؤية إلى الأمورومعالجتها.

ويقول عرار مفتخراً ومخاطباً الشيخ الذي يمثل عنده رمزاً للدين، والشيخ شخصية نموذجية وردت أيضاً عند بعض الشعراء وكرر هذه الشخصية في أشعاره بشكل كبير، يقول عرار:

أبعد هذا أجبْ يا شيخُ هل حرجٌ عليّ إما قضيتُ العمر سكرانا؟

وكيف بالله ربي سوف يمنعني وهذه قصتي عفواً وغفرانـاً[2]

نلاحظ أن عرار يلتمس العذر لتعاطيه الخمرة، مبيناً أن له قصة تدفعه لتعاطي الخمرة، ليس حباً لها ولكن قصته مع مجتمعه وما يعانيه هذا المجتمع من آلام كانت السبب في لجوئه لها.

يعتبر الشاعر حسني فريز من الشعراء الذين عملوا على إصلاح المجتمع ، من خلال توضيحهم لحالات الفقر و الجوع المنتشر في المجتمع وكذلك من خلال تعرية أصحاب النفوذ و الفساد، فتراه يقول في قصيدته (العيد):

لمن العيد والمنى لمن الحب والأمل؟

لمن العيد باسم؟. ينثر السحر والقبل

[1]مصطفى وهبي التل (عرار) ديوان عشيات وادي اليابس، جمع وتحقيق – وتقديم د. زياد الزعبي، الطبعة العربية الثانية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ودار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، عمان، 1998، ص 385 وما يليها.

[2]عشيات وادي اليابس: ط، 2، ص 372.

للحزانى وأدمع تملأ السهل والجبل
للأولى جف ربعهم وقضى الكبش والحمل
لقمة الخبز عندهم أصبحت مضرب المثل
كم فتاة تضورت وفتى بات في خبل[1]

نجد عمقاً في المشاعر وحالة الحزن الشديد التي عاشها حسني فريز وقد أبدع في وصف بلده و المصائب التي تمر بها فقد مثل القلب النابض لأحزان بلده ومثل هموم الشباب وقضاياهم المصيرية تجود ملكته الشعرية بقصيدته (بلادي)، وقد أشرنا إليها في غير هذا المكان، ومنها قوله:

بلادي أينما وجهت وجهي أرى لك صيحة وأرى مصابا
هنا بؤس وليس هناك عز وحيث نظرت ألقى ما أذابا
تشكي الفقر فيها كل حي ويبلوا علقما ويذوق صابا[2]

وقد عبر الشاعر كثيرا عن قضية الفساد المالي وحب المال في أكثر من مناسبة حيث تحدث عن الصراعات التي تجوب البلاد ومن أجل المال و الكراهية التي تغزو القلوب من أجل المصالح الفردية المقيتة، والشاعر أمام هذه المواقف لا يملك إلا الكلمة الواعظة المُصلِحة للناس حيث يقول:

خليلي أمجاد الرجال كثيرة وأحسنهم للناس أعلاهم مجدا
أراني ألوم الدهر ما الدهر ظالم ولكن بنوه قد تباروا به حقدا
يروح وراء المال في رونق الصيد ويتبعه حتى يكون له عبدا
وينفق أيام الحياة جميعها جذوعا هلوعا لا يمل بها كدا

نلاحظ من خلال استقراء قصائد الشاعر الكبير حسني فريز أنه شخصية متميزة وذات جرأة عالية في قول الحق ولديه بعد وتميز يجعله قادرا على اتخاذ القرار السليم الذي ينفع الوطن و المواطن . و الحقيقة

[1] الحركة الأدبية في شرق الأردن، سمير قطامي، ص 92.
[2] الحركة الأدبية في شرق الأردن، د. سمير قطامي، ص 93.

أن هذا الشاعر هو فعليا ما تحتاجه الأمة العربية و الإسلامية حتى تنهض من جديد وتكون على مستوى الأحداث الراهنة ويمضي في قصيدته يصف تهالك الناس على جمع المال والثراء، إلى أن يضعنا أمام مقارنة بين هذا المتنعم في دفئه ورغده، وذاك المرتجف الذي يغالب البرد والجوع، فيقول:

تأمل إذا جنى الظلام وأعولت رياح الشتا مجنونة تلدغ الجلدا
وجلجل رعد في سواد غمائم فسح بوبل عارم يشيه الرعدا
وأنت رخي البال في جو غرفة دفيء كاهنا ما تأملته مدا
ونمت قرير العين لم تعرف الطوى ولم تعرف الفقر الغضوب إذا شدا
هنالك تلميذ بقربك ساغب تململ في أسماله يشتكي السهدا
مقيم على نضد يزاول درسه ويقتله بحثا ويشبعه جدا
يغالب ذئب البرد والدرس ماضيا ويغلبه الجوع الذي يغلب الأسدا

ويخلص إلى موعظته وتذكيره بزوال هذا الثراء وهذه الدنيا قائلاً:

وما المال إلا ما ترد به الأذى وترفع للمعروف من وفرة نبدا

ستفني الليالي كل ما يجمع الفتى وتمعن في إعلاقه والمنى هدا[1]

والشاعر حسني فريز في قصيدته (المترفون)، يصف تلك النعم وهي منساقة إلى فئة فاسدة لا تعرف سبل الخير والإحسان، تأتيهم الأموال مكرهة من غير عناء ولا تعب، ومنها قوله:

عيشوا كما يهوى الخيال بلذة ونعيم عيش بالمسرة يشرق

فوق الأرائك والنمارق والهوى ريان من ماء الصبابة يغدق

[1]ديوان هياكل الحب، حسني فريز، ص 190 وما بعدها.

بين الخمائل بالغلائل في الضحى والزهر ألوانا يرف ويعبق

في مثل دارات الجنان بيوتهم يسعى لهم فيها النعيم الريق

نعم تهش لغيرهم لكنها تنساق مكرهة وتطوق

لا يشكرون لها يدا ميمونة بل ينكرون صنيعها إذ تحرق

مكروبة أبدا تزف لفاسق وإذا استغاثت كان ثمة أفسق

يتحدث الشاعر عن أحلامه وعن أهدافه في الحياة و التي يسعى إلى تحقيقها والتي من خلالها سوف يدعم الفقراء و البؤساء في بلده ، فيقول:

يا رب آيات الجمال عشقتها إذ أنت تبدعها وقلبي يعشق

والنعمة البيضاء أهوى حسنها والحسن أعبده ولا أتملق

لم لا أراها في يدي وإنني لأرى لها قلبي يخف ويخفق

لو أنها وافت وفيت لها الهوى وجعلتها حيث المودة تصدق

وأسيت منها البائسين بلا أذى وجعلت أفعالي بحبي تنطق

دعواي هذي حين جيبي فارغ أأكون كذابا وجيبي يفهق؟![1]

[1]ديوان هياكل الحب ص 197.

وقد أبدع شاعرنا في الحديث عن الفقر حيث خصص له قصيدة وتخيل الفقر رجلا يتحدث وبين أثر الفقر في نفوس البشر ومدى الأذى النفسي الذي يقود إليه ومنها قوله:

ألست تراهم سدى هائمين جياعا عراة حفاة القدم

فتكت بهم دونما رحمة فنام السعيد منام البهم

ففي كل عين تسيل الدموع وفي كل جفن عزيز ورم

إذا الجوع طاح بقوم فقد تثلم روح الأبا وانهدم

شقاء وبؤس وهم وبيل وداء دفين ببيد الهمم[1]

تعدد المواقف التي تظهر الطبقية في المجتمع وخاصة المتعلقة بالمناسبات المختلفة ومنها العيد الذي يظهر فقر الفقير وتمتع الغني في هذه الدنيا . ومثل هذه المشاهد تثير قرائح الشعراء، وتنهال عواطفهم، إحساسا مع ذلك المسكين الذي لا يعرف طعم الهناء، فلنذهب مع رفعت الصليبي (العيد)، حين يحدق ببؤس البائسين وآلامهم، فتثور لوعته قائلاً:

أطلقوا المدفع المبشر بالعيد فراع الفؤاد هذا البشير

لوعة في جوانحي وشجون كمنت فاستثارها التذكير

علها ذكريات شجو قديم ليس يألو حرصا عليه الضمير

[1]المصدر السابق، ص 233.

ذكرتني ما بين يومي وأمسي وأرتني الأفلاك كيف تدور

بعد أن عبر الشاعر عن إحساسه في هذه المناسبة، ينتقل إلى وصف حال البؤساء والأشقياء الذين تخلفوا عن ركب السعادة والمرح، يصارعون الهموم والحرمان، فيقول:

إيه يا عيدكم حزين كئيب بات ينتابه الشقاء المرير

وفجيع يؤوده الهم والسقم ويضني قواه خطب نكير

بات لا مؤنس ولا من مؤاس حين يطغى الأسى وتعمى الشرور

ذهبوا كلهم لينتهبوا اللذة حيث الهوى وحيث الخمور

تركوا البائس الشقي فريدا يحمل الهم وحده ويسير

إيه يا عيد رحمة بالمساكين إذا أسرف الفتى الميسور

كيف يبدو شقاؤهم وعناهم كيف يبدو الحرمان والتقصير [1]

فالمتأمل للنماذج الشعرية السابقة يشتم من خلالها رائحة شريعة عروة بن الورد الذي أجاز لنفسه فيها السطو على أموال الأغنياء، وقطع الطريق ليمد يد العون للفقراء والمحتاجين، فشعراؤنا يحسون بما أحس به عروة من ألم لحال الفقراء ولكن لم يجيزوا لأنفسهم ما أجازه عروة ولو أن لسان حالهم يتمناه.

[1] رفعت الصليبي قصائد ومقالات، د. سحبان خليفات، ص 39.

ب . قضـــية المـــرأة

لقد تضمن الشعر في الأردن العديد من القضايا الاجتماعية العامة وعلى رأسها موضوع حقوق المرأة ، ودورها في الحياة الاجتماعية حيث نجد أن المرأة فترة الدراسة كانت تعاني من الظلم و القهر وعدم الاحترام في جوانب كثيرة في حياتها .حيث كانت تعاني من الكبت والظلم، وعدم القدرة على التعبير عن رأيها، حتى فيما أباحه الشرع لها، فليس لها أن تعمل وليس لها أن تختار أو تشاهد الزوج الذي سوف تشاركه الحياة، وهذا يؤدي في كثير من الحالات إلى إقامة زواج فاشل نهايته الطلاق، والشيخ نديم الملاح ممن تناولوا قضية الزواج القسري الذي كان منتشرا آنذاك، وله في ذلك قصيدته (الزواج الخائب) ومنها قوله:

ومسلم عزب في أنف صبوته رام الزواج لشر ليس يدريه

مرأى الخطيبين سنته شريعته وظلت العادة الصماء تلغيه

فالجأته إلى إيفاد والدة له لتبحث عن حسناء ترضيه

حتى إذا لثمت كفا لها نصف حمقاء في الوجه منها وسم تشويه

وبعد أن يسلم الشاب أمره للعادات والتقاليد، بذهاب أمه لاختيار زوجة له دون أن يشاهدها، يستسلم للأمر ويذهب لخطوبتها:

ثم انثنت لابنها المخدوع واصفة لها بأكمل وصف بات يغريه

وراح يخطبها من أهلها وبه شوق المحب إلى ملقى محبيه

مهر كثير به يشرى الجهاز على أزياء يبطلها ما ليس يبليه

اصاره الخوف من إسرافه حذرا أن يذهب العسر من يسر بباقيه

بنى عليها بليل فيه قد عرفا إن النزاع سيشقيها ويشقيه

فغص بالريق كل منهما كمدا واستشعر الصبر على الصبر يسليه

ذاقت من العلم إلا علم تربية وعلم تدبير بيت رئست فيه

وما هي إلا فترة وجيزة قصيرة، حتى يبدأ النزاع الذي تكون نهايته الطلاق:

دار الزمان على الزوجين دورته ولج بينهما بالخلف واعيه

وأثقلته تكاليف الحياة ولم تترك له بلغة ما يغذيه

كلاهما ضاق ذرعا من معاشرة حتى نعى البين بالتطليق ناعيه

وظل أرمل لا حال تساعده على الزواج ولا مال يواتيه

ماتا ولم يبلغا من غاية إربا سوى شقاء أذيبا في مقاليه

ويخلص الشاعر إلى تحميل المسؤولية لتلك العادات الذميمة، وعدم وعي رجال الدين الذين لا يحسنون توعية الشعوب في أمور دينهم ودنياهم:

ماتا ضحية عادات مذممة وجهل أرباب دين في معانيه

أمسى الزواج الذي ترجى سعادته ضرب المقامر خانته مراميه[1]

هذا جانب من الجوانب السلبية في الحياة الاجتماعية، تعرض إليه الشعراء أملا في الإصلاح وتوعية الشعوب، للخلاص من هذا المرض الذي يدمر حياة كثير من الأسر.

لقد تحدث الشاعر المتميز رفعت الصليبي عن المرأة بطريقة متميزة فقد تناول قضية الشرف، و العرض وبين الأعمال السيئة التي يقوم بها بعض المتربصين بالفتيات حيث يوقع بهن ، ويتركهن يواجهن مصيرهن أمام مجتمع لا يرحم وعادات وتقاليد قاسية جدا تجاه المرأة فلنتأمل قصيدة الصليبي (حصاد الإثم)، ومنها قوله:

هند عذراء أسلمتها المقادير لذئب يروغ خبثا ومكرا

عبث همه ولهو وقصف لا يبالي من الجريمة وزرا

وذئاب الأنام أضرى من الذئب وأفضى في الفتك نابا وظفرا

شاقه حسنها فهام بقد كقضيب الأراك ما زال نضرا

ومضى ينصب الأحابيل للحسن ويبدي الهوى ويكتم شرا

وبعد أن يصف الشاعر تلك الذئاب التي تروغ خبثا، ينتقل إلى الفريسة المخدوعة قائلاً:

ورأته العذراء يرمقها حبا فراحت بنظرة منه سكرى

[1]ديوان الشيخ نديم الملاح، 1984، ص 62.

راعها منه مقلة تنفث السحر ووجه يضيء حسنا وبشرى

ورأت في هواه أمنية القلب وراحت تنيله الوصل سرا

سعدت لحظة بوصل شقي أورثتها العناء والحزن دهرا

هتكت سترها الرذيلة والغدر وكم كاعب تضلل غدرا

بدلتها الأيام بالسعد بؤسا وشقاء وبالهناءة ضرا

أدركت الفتاة حجم الخطيئة التي اقترفتها، فاعتصرها الأم والندم، وأخذت تستعيد الماضي بطهره وعزه وسعادته، ولكن ماذا ينفع الندم بعد فوات الأوان؟ لطخت نفسها بالعار، فتمنت الموت وفكرت بالانتقام من نفسها والخلاص من هذه الحياة المؤلمة:

كلما راجعت صحائف ماضيها وعمرا بالعز والطهر مرا

ورأت حاضرا تلطخ بالعار وأضحى من الفضيلة صفرا

تتمنى لو يقبض الموت نفسا أوردتها موارد الذل غدرا

كيف تقضي: بالسم؟ بالنار؟ بالنهر؟ وأي الأسباب ما كان مرا

أحرقتها لإثمها ألسن الناس ومن في الأنام يقبل عذرا

إن من تحمل الجريمة سرا تلد العار والفضيحة جهرا

وهنا يأتي دور الأهل للخلاص من هذا العار، فاستقبلت الموت ورضخت للعقاب، ولكن عاطفة ما دفعت الموت عنها وتركتها تنازع نفسها في ندم وحسرة، تراجع الأخ عن تلك الجريمة التي كاد أن يرتكبها، وهام على وجهه من هول المصاب:

ودرى الأهل بالفضيحة فاهتاج أخوها وهب يطلب ثأرا

وانتضى خنجرا يضيء دجى أليل سناه ويملأ القلب ذعرا

ومشى ثابت الجنان يذيق الأخت في الخدر طعنة منه نكرا

فأهابت به وقد خيم اليأس وأخنى على الشقية صدرا

أي أخي لا تني ومزق جناتي أنا بالقتل والمنية أحرى

أنا دنست بالخطيئة عرضي أنا لم أبق للفضيلة سترا

رجفت كفه وقد سقط الخنجر منها وراح يلهث بهرا

وأفاق الحنان في قلبه القاسي وفاضت مدامع منه شكرا

وكانت نهاية تلك المأساة الاجتماعية، أن لجأت تلك الشقية إلى الدير تقضي بقية عمرها:

ومضت تلكم الشقية للدير تنيل الوجود نظرة حيرى

شيعت عالما قد اصطرع البـ ؤس به والنعيم كرا وفرا

تنشد الأمن والسلام وتبغي لبقايا الأحزان في الدير قبرا[1]

عالج الصليبي من خلال هذه القصيدة، مجموعة من القضايا الاجتماعية، فهناك فساد أخلاقي لدى كثير من الشباب الذين يجرون وراء شهواتهم ورغباتهم، يمكن أن تكون هذه القصيدة وغيرها، درسا مفيدا لأرباب الأسر أن يحسنوا تربية الأبناء والبنات، ومما عالجته هذه القصيدة الجهل وعدم الوعي عند كثير من الفتيات اللواتي يسهل اصطيادهن، وبهذه النهاية المأساوية عبرة مفيدة للكثيرات .

ويتجلى موقف عرار من المرأة عندما يقف إلى جانبها يناصرها ويدافع عنها وعن قضاياها، ويرى أن المجتمع لم يرحم المرأة فنظر إليها نظرة بعيدة عن التراحم والتواصل، فيأتي بنموذج للمرأة النوريّة التي امتهنت الرقص من أجل لقمة الخبز. ويبدأ عرار قصيدته متحدثاً عن تساوي الرذيلة والفضيلة في عرف أبناء عصره، فيصف عرار هذه المرأة قائلاً:

سمراء والعينـــان زر قاوات في قد الغـــلام

ما شام طلعتّها أخـــو شغف بها الأوهـــام

غنت فذكرني تجـــا وب صوتها رجع الحمام

وتمايلت فأمال عقلـ ـي في تثنيـة القـوام

يا بنتُ! يا من أمرُها لمّا تعـاوجت استقـام

لولا الرغيف وفقر أهلـ ك واحتياجـك للطعـام

[1]رفعت الصليبي قصائد ومقالات، د. سحبان خليفات، ص 56.

هل كنت ترضين الحيا ة كذا، وفي هذا المقام[1]

يرسم عرار لهذه المرأة النموذج صورة إنسانية مليئة بالخيوط المتشابكة والمتداخلة، إن الشاعر يرى في وجدانه أن هذه المرأة التي لجأت إلى الرقص بحثاً عن لقمة الطعام لم تكن إلا نموذجاً إنسانياً يستحق التعاطف، فإن الابتذال الإنساني الذي يتجسد في صورة هذه المرأة يستحق أن يراجع وأن يحتفى به، لأن في ذلك امتهاناُ واضحاً لإنسانية الإنسان، وهذا ما كان يرفضه عرار لأنه عاش أبياُ مدافعاً عن كرامته وكرامة وطنه وأمته.

إن مشاعر الشاعر تدرك بكل وضوح تأكيدها على إنسانية الإنسان واحترامه، لأن المجتمع البشري الذي يقود إلى امتهان الإنسان ليس مجتمعاً نقياً، وإنما هو مجتمع بشري له أنياب ومخالب، وهذا ما رفضه عرار الإنسان والشاعر الذي عبر عن احترامه لحرية الإنسان وحقه في الوجود.

لقد مثل عرار في حياته ومواقفه وأشعاره رؤى إنسانية، ويبدو أن الظروف المتشابهة التي عاشها الشاعر قد جعلت مواقفه ذات رؤية تنويرية ثاقبة مخالفة لرؤية المجتمع مشيرة إلى عيوبه وآفاته.

ج. قضايا اجتماعية متفرقة

يسعى الشعراء من خلال قصائدهم إلى تغيير المجتمع لحالة أكثر مساواة بين أفراده، ويعمل الشعراء كذلك على إلغاء كل الفوارق الاجتماعية والطبقية الموجودة في المجتمع، وإعادة توزيع الثروات والدخل، ومواجهة الأمراض المجتمعية مثل الفساد و النهب والسلب .فتناولوا أوضاع المجتمع عامة، يعالجون ما استطاعوا منها، بصد الظالم عن ظلمه، وإثارة همم المظلومين للمطالبة بحقوقهم. ويعد عرار رائد الحركة

[1]عشيات وادي اليابس، ص 346.

الشعرية في هذا المجال، فهو لسان الشعب الناطق بحقوقهم، والأب الحاني الذي لا يفرق بين أبنائه، فجند إحساسه وقلمه ليعبر عن قضاياهم، ويعمل على نشر العدالة والمساواة بين جميع مستوياتهم، ولو أدى ذلك إلى الاصطدام مع الحكام والمسؤولين. وموقفه مع (الهبر) عندما رفض المدعي العام أن يقابله، يشهد له تلك المواقف النبيلة، حيث يقول:

يا مدعي عام اللواء وخير من فهم القضية

ليس من الزعامة شرطها لبس الفراء البجدلية

والعدل يقضي أن تعامل زائريك على السوية

يا مدعي عام اللواء وأنت من فهم القضية

الهبر جاءك للسلام فكيف تمنعه التحية؟

ألآن كسوته ممزقة وهيئته زرية؟؟

قد صده جنديك الفظ الغليظ بلا روية

وأبى عليه أن يراك فجاء ممتعضا إليه

يشكو الذي لاقاه من شطط بدار العادلية

ويقول إن زيارة الحكام لا كانت بلية

فأسرع وكفر يا هداك الله عن تلك الخطية

وأدخله حالا للمقام وفز بطلعته البهية

فالهبر مثلي ثم مثلك أردني التابعية[1]

إن من أبسط حقوق الإنسان هو الحق في الانتماء للبلد الذي يسكن (التمتع بالجنسية)،ويعمل فيه، ولكن في نفس الوقت على المواطن واجبات عليه القيام بها تجاه وطنه ولديه كذلك حقوق ، وقد عالج شاعرنا الكبير عرار هذه القضية من خلال حديثه عن النور وحقوقهم .

فكل من يعيش على أرض الأردن، وقبل العيش على أرض الأردن، وقبل العيش بيسره وعسره، له الحق أن يتمتع بالجنسية، فعليه واجبات وله حقوق، حتى ولو كان من النور، وهذا دفعه إلى قوله:

فالهبر مثلي ثم مثلك أردني التابعية

وله في العدالة الاجتماعية والمساواة بين الأفراد، قصيدته (بين الخرابيش) ومنها الأبيات التالية:

بين الخرابيش لا عبد ولا أمة ولا أرقاء في أزياء أحرار

ولا جناة ولا أرضا يضرجها دم زكي ولا أخاذ بالثأر

بين الخرابيش لا حرص ولا طمع ولا احتراب على فلس ودينار

الكل زط مساواة محققة تنفي الفوارق بين الجار والجار

بين الخرابيش لا كذب ولا ملق ولا وشاة ولا رواد أخبار[2]

[1]ديوان عشيات وادي اليابس، ص 25.

[2]المصدر السابق، ص 57 وما بعدها.

لقد استعمل عرار هذه الطرق كمنهج لتحقيق أهدافه في تحقيق الخير و العدل بين جميع طبقات المجتمع .إن قضية الجهل من القضايا التي نالت اهتمام الشعراء، لأنها تقود إلى الانصياع لرغبات الظالمين الذين يستطيعون بحنكتهم السيطرة على عقول وثروات الآخرين. ولذلك كان من واجب الشعراء توجيه الشعوب وتوعيتهم لإدراك ما يدبر لهم من خطط الإذلال والاستغلال، ومما يقودهم إلى اتباع الغرباء والمستعمرين وتلبية رغباتهم. فإلى ذلك يشير الشاعر حسني فريز، في قصيدته (بعض الناس) ومنها قوله:

يدافعونا بلؤم واللؤم فيهم سجية

ويغلبونا بجيش جنوده بربرية

جيش من الجهل طام سيوفه جاهلية

كيد لكل عليم بهمة عنترية

عادوا بنا لعهود سحيقة همجية

تخشون مني لأني عرفت كل القضية

ويدفعه خوفه على وطنه وأمته العربية، أن يهجو هذه الفئة حرصا على مصلحة البلاد، فيقول:

أنا لست أهجو لأشفي غلول نفس أبية

وإنما أنا أخشى على البلاد الفتية

على العروبة تشقى بالحمق والمعمعية

أصليكم النار هذي والنفس مني رضية[1]

وعندما وصل بعض الناس إلى درجة اللامبالاة، وعدم الإحساس بالآلام، وأصبحت العقول والقلوب خاوية مجدبة، يقول:

كانت تلم النازلات وأنتم تتصيدون المشتهي والأدعجا

فإذا دعيتم للذي هو قاصم لذتم بذي خنث أغن مزججا

ويلي أإنسان أنا أم صخرة لا أشتكي هما ولا أتعذب

مهما رأيت من المناكر لا أرى حقا أثور لأجله أو أغضب

هل مات حسي بعد طول ركوده لا حس لي إني خراب مجدب

من أين يأتيني الشعور ومقولي قد غله عقل كليل أخيب[2]

وفي الغدر وخداع الناس بالعبارات المنمقة حيث يقول:

سرني أن تفيد علما وفضلا وتكون النقادة المختارا

وتصوغ الكلام في كل فن وتحوز العلوم والأشعارا

هكذا يا بني أنت مريض لست في الفن فارسا مغوارا

[1]ديوان هياكل الحب، ص 175.

[2]المصدر السابق، ص 211.

إنما دافعوك قوم أطاعوا جهلهم فانطلقت ثم اغترارا

أنت أشقى العباد فيما توهمت وأدنى إلى التفاهم دارا

ما عناني أن يكتسي الجهل خزا وعناني أن يدعي الجهل غادرا[1]

إن الكذب خصلة ذميمة وصفة قبيحة وعمل مرذول وظاهرة اجتماعية انتشرت

بين طبقات المجتمع المختلفة وهو من أبرز أسباب تخلف الأمم وتطورها .

وللشاعر عرار، مواقف وتأملات، يظهر من خلالها استياءه ومقته لهذه العيوب الاجتماعية، ونجده يكشف حقيقة هذه الفئة المنافقة الكاذبة، ويرميهم بسهامه اللاذعة قائلاً:

لما رأيت الكذب سر تفوق الفئة السرية

ورأيت كيف الصدق يذهب من يقول به ضحية

ونظر أحلاس الوظائف سادة بين البرية

أيقنت أن الألمعية في ازدراء الألمعية

وحللت عقلي من عقال الهاجسين بحسن نيه

ويميل الشاعر إلى أن يحذر من الانخداع بالمظاهر وعدم الحكم على الأشخاص من خلال أشكالهم وهيئتهم حيث يقول :

[1] هياكل الحب، ص 184.

لا تنخدع بالبنطلون ولا تثق بجمال زيه

ما كل زخرفة إباء وكل خطب عنجهية

كم فارس هو في الحقيقة عند راتبه مطية

ومدجج قاد السرية وهو قواد السرية[1]

وحسني زيد الكيلاني لا يقل شأناً عن غيره في هذا المجال فله في وصف النفاق والمنافقين وعدم وضع الناس في أماكنهم المناسبة قوله:

أعظم نفاقا على نفسي وتدجيلا أصبحت بين ذئاب الناس مأكولا

وحطني أدبي حتى برمت به وصرت عنه بجلب الخبز مشغولا

وضاع ما كان لي في الدهر من أمل وكيف أرجو لما قد مر تأجيلا

أنا الشقي الذي ينبئك حاضره بأنه اشتار ثدي البؤس معسولا

والعيش فن فإن أتقنته نصبت لك الموائد إكبارا وتفضيلا

وصرت فيهم أديباً عالماً لسنا وإن تكن في بطون الكتب مجهولا[2]

تتعرض الشعوب في حالات كثيرة إلى حالة من الحزن ، و التراجع نتيجة لعوامل مختلفة منها العامل الاقتصادي و العامل الاجتماعي وغيرها وبالتالي يسيطر عليها التراجع و الإحباط وعدم الرغبة في

[1]ديوان عشيات وادي اليابس،ص 28.

[2]الحركة الأدبية في شرق الأردن، د. سمير قطامي، ص 94.

التقدم . ومن هنا يأتي دور الشعراء في إعادة البناء و إعادة الثقة للشعوب في قدراتهم ، وحسني الكيلاني في قصيدته (الفلاح)، يحث بني قومه على استغلال الأرض وفلاحتها، ويبين فضل ذلك الفلاح الذي يشيد المجد للمجتمع، في حين يبقى في كوخه المتواضع، ومنها قوله:

نبهك الشحرور في وكره　　يا أنبل الناس على فقره

تقلب الأرض ولا تأتلي　　كراهب يبحث في سفره

تمشي على كنز الدنى متعباً　　وأنت محسود على تبره

إن لم تهش الناس في وجهه　　هش له العشب بمخضرّه

ألا تراه حول أقدامه　　في عفة الحسن وفي طهره

يبني قصور الناس من كوخه　　ولا ينال الحق من أجره

فلاحنا أثمن كنز لنا　　فكل ما نجنيه من خيره[1]

ومن الشعراء البارزين في هذا المجال نديم الملاح الذي يؤكد على أهمية العمل وبذل الجهد وحث الشعوب على الكد و زراعة الأرض

، وله في ذلك قصيدته (آه ممن تجددوا في السفاسف) ومنها قوله:

ألبسيني من الثياب بسيطاً　　ليس فيه من الزخارف لون

[1]من أعلام الفكر والأدب، محمد أبو صوفه، ص 171، والحركة الأدبية في بلاد الشام الجنوبية، حيا سليم رواشده، ص 357، وجريدة الجزيرة، عدد 1034، 1941/3/15.

ألبسيني منها نظيفاً متيناً إنما يحمد النظيف المتين

عاونيني أجد في زرع أرضي إنها لي ذخر وكنز دفين

ألبسيني من نسجها ثوب عز وفخار به تقر العيون

أطعميني من قمحها ودعيني عن دقيق يهشه التلوين

كيف يرجو أن يستقل كسول هو حتى بقوته مرهون

ألبسيني من نسج قومي بردا ليس فيه من المكوس فنون

هذه خطة بها الشعب يحيا وسواها التخدير والتسكين[1]

ويؤكد نديم الملاح كذلك على فكرة حب العمل لأنه الوسيلة الوحيدة لنمو البلد وتطورها وتحقيق التنمية المستدامة، وله في ذلك قوله:

كل حي يسعى ليلقى مصيرا فيه يستعذب المنى والهناءَ

وبناة الأمجاد شتى فبانِ ليس يعلي وذاك يعلي البناءَ

وامض لا تحقرن منها صغيراً فالدعامات تعوز البناءَ

لا تقل إنني سأقضي قريباً وترى الذكريات بعدي هباءَ

إنما يدرك الأماني حرً بات كالنجم همه ومضاءَ

[1]ديوان نديم الملاح، ص 55.

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، هذا ما أراد الشاعر أن ينبه شعبه إليه بقوله:

رب شعب تمكن الضعف منه فانبري يلتقي الأذى والفناء

وقوي يطاول الدهر مجداً والحصى كثرة ويزكو نماءَ

ساعة الأقوياء عمر شريف وسنيّ الضعاف تمضي هواءَ

والإخلاص في العمل لا يكون من فئة واحدة ، فلا بد من تكامل الأعمال مع بعضها حتى يتحقق التكامل في البناء:

وإذا كنت عالماً أو أديباً فاخذق العلم واسبق الأدباءَ

وإذا كنت في الرجال زعيماً فاركب الهول وامجد الزعماءَ

وإذا كنت قائداً فاقتحمها غمرات واكشف بها الغماءَ

وإذا كنت عاملاً فاسع حتى لا ترى من وراء سعي وراءَ

وإذا ما صحبت فأصحب كراماً وتنزه أن تصحب اللؤماء[1]

تتعدد الآفات الاجتماعية في أي مجتمع، من النفاق و الغش و الخيانة وقد عمل الشعراء في الأردن على مقاومة تلك الآفات بكل قوة خاصة فيما يتعلق بموضوع البيع و التجارة كقول حسني فريز في البيع والتجارة وأساليب التجار في المراوغة وحلف الإيمان:

[1]ديوان نديم الملاح، ص 48.

أعوذ بالله من شر الثياب ومن شر الشراء وشر التاجر الذرب

تلقاه يحلف بالرحمن ما ربحت تلك التجارة أسوأ العقب

وليس يلقاك إلا وهو مضطرب يظل من خوفه في شكل منتحب

يرنو إليك بعين ملؤها أمل وقلبه خوف فوت الربح في لهب[1]

ومن خلال القصائد السابقة نتبين الدور الهام الذي قام به شعراء الأردن في حماية المجتمع الأردني من الأمراض المجتمعية كالغش و النفاق و غيرها ، ولقد قام الشعراء بتصوير تلك المشكلات بطريقة متميزة ومتقنة وعملوا على زيادة الوعي المجتمعي حول تلك القضايا . وفي ذلك أداء للواجب الإنساني الشريف بوعي تام لحجم المهمة الملقاة على عاتقهم، في وقت لا يسمح لهم أن يقفوا موقف المتفرج على ما يدور وسط أهلهم وأمتهم.

قدم الأمير عبدالله بن الحسين الحرية المطلقة للشعراء في نقد الآفات المجتمعية و مقاومة الظلم و القهر و الفساد الذي انتشر بين الناس ، فنظموا قصائدهم السياسية والاجتماعية والوجدانية، وتنقلوا بأفكارهم حسب ما تمليه عليهم عواطفهم وقرائحهم، فلهم في الثورة على الاستعمار وفضح نواياه، ولهم في الشكوى والألم وقالوا في نقد الأوضاع الاجتماعية المتردية، وعملوا على إصلاح ما استطاعوا منها. ورب سائل يقول: ما دامت الحرية ممنوحة لهم، فلم الشكوى والألم الذي يبرز من خلال القصائد الوجدانية؟ وللإجابة على هذا نقول: إن البلاد كما نعرف كانت تحت السيطرة الأجنبية، وكثرت المظالم، وساءت الأحوال، والأمير كسائر

[1]ديوان هياكل الحب، ص 206.

حكام البلاد العربية، لا حول لهم ولا قوة، من أجل ذلك يميل الشاعر أحيانا إلى الهروب من الواقع المر، وبث شكواه وآلامه من خلال قصائده.

أما بالنسبة لأمير البلاد، فكان يتميز بسعة صدره وحلمه وتقبله النقد من الشعراء، وإلا ما تجرأ عرار أن يقول:

مولاي شعبك مكلوم الحشا وبه من غض طرفك والإهمال داءان[1]

من كل ذلك نرى أن الشعراء في الأردن قد عملوا بكل قدراتهم على مقاومة الفساد و الظلم المنتشر في المجتمع من خلال اتجاهات شعرية وقصائدهم التي كانت المنطقة بأمس الحاجة إليها. ومن خلال تواصلهم مع إخوانهم في البيئات العربية الأخرى، وخاصة السورية واللبنانية والمصرية[2]، استطاعوا أن ينيروا ولو شمعة في زاوية من زوايا ديوان الشعر العربي، الذي ما توانى يوما عن الصمود في وجه الظلم والطغيان، ولم يتقاعس عن الإصلاح الداخلي لبنية المجتمع العربي عامة. فلم يغفلوا جانباً من الجوانب الوطنية إلا وقفوا عنده، ولم يتركوا مشكلة اجتماعية إلا بذلوا الجهد في علاجها فهم الذين أخذوا على عاتقهم هموم الوطن والمواطن فكانوا النافذة التي يتنفس منها المواطن وما كانت تلك القصائد إلا حافزاً يثير الهمم ويدعو إلى الترابط والتلاحم لمواجهة الأخطار الاجتماعية والسياسية التي تحدق بهم وبأوطانهم.

[1] عشيات وادي اليابس ص215.

[2] أنظر: الحركة الأدبية في شرق الأردن، د. سمير قطامي، ص 73 وما بعدها، وأنظر: مصطفى وهبي التل حياته وشعره، كمال فحماوي، ص 97، وأنظر: عرار الشاعر اللامنتمي، أحمد ابو مطر، ص 248.

الخاتمة

هذا الذي تقدم دراسة للمعاني الوطنية (الوطن والمواطن) في الشعر الأردني المعاصر من 1920 إلى 1950م، من بداية الإمارة الأردنية حتى نهاية عام 1950م وفق منهج محدد، وقعت الدراسة في أربعة فصول بعد المقدمة أشرت فيها إلى أهمية هذا الموضوع في الدراسة الأدبية، وأبنتُ الأسباب التي دعتني إلى اختيار موضوع الدراسة، وتحدثت بعد هذا عن منهج البحث الذي قامت على أساسه هذه الرسالة، وشرحت بعض الدراسات المتصلة بهذا الموضوع، وأشرت إلى ما أفاده البحث من بعضها، وتابعت القول بذكر أهم المصادر والمراجع التي أفدت منها فأخذت من بعضها ما يكشف الطريق ويفيد البحث.

وتحدثت في الفصل الأول عن الحدود الزمانية والمكانية التي تشكل فيها الأردن إمارة ومملكة، وتناولت المؤثرات التي أسهمت في نمو الوعي القومي والحركة الأدبية والصحفية. وخلصت إلى دور رجال الثورة العربية الكبرى في نمو الحركة الشعرية ودورهم في نشر العدل والمساواة بين الحاكم والرعية.

كما أنني توصلت في هذا الفصل إلى أن الأردن عبر العصور قد ارتبط بصورة متكاملة ببلاد الشام وخضع للحكم العثماني، ولم يؤسس في الأردن جهاز حكومي مستقل قبل عهد الإمارة. فقد هيمنت الحروب والغزاوات على العلاقات بين القبائل البدوية وكانت المنطقة مسرحاً للتخلف الاجتماعي بسبب غياب الأمن واضطراب الإدارة العثمانية، وكانت القوانين التركية تسري على الأردن حتى قدوم الاستعمار البريطاني والفرنسي مما أدى إلى تأخر نضج الحركية الشعرية في الأردن.

كما أنني توصلت إلى أن اشتراك العرب في الثورة على الأتراك قد جاء نتيجة طبيعية لسياسة التتريك وانتشار الظلم، وسوء الأوضاع الاقتصادية، وتزايد الفساد الإداري، وكذلك عجز الدولة العثمانية عن توفير الأمن والاستقرار في الديار العربية بعامة.

ولقد تناولت في الفصل الأول دور الشاعر الأردني في إصلاح مجتمعهِ فقد عَمِلَ الشاعر على توحيد العقول فكان موضع تقدير واهتمام، فقد خاض الشعراء معارك كثيرة واقتحموا صفوف أعداء الأمة، ونازعوا خصومها، وحاولوا أن يعلو فوق الحدود المصطنعة والتجزئة المزيفة للواقع العربي.

وجعلتُ الفصل الثاني لدراسة شعر الجهاد والدعوة لحماية البلاد حيث بينت دور شعراء الأردن في دعم صمود الشعب ومواجهة الأزمات، وقد دعوا بكلماتهم إلى الذود عن الحمى وطرد المستعمر من البلاد، بالإضافة إلى رفض الذل بجميع أشكاله.

وكان الفصل الثاني مداداً للحديث عن دلالات الشعر الوطني حيث تحدثت عن الواقع السياسي للسلطة في ذلك الوقت، وخلصت إلى أن الصراع بين العرب والعثمانيين قد انعكس على شعراء الأردن، فكان الشعراء يعبرون من خلاله عن غضبهم لسيطرة العناصر الأجنبية على حكم الدولة، ويبرزون استياءهم من اعتماد السلطة على القادة الأتراك. وإبعادهم للعرب الذين هم أصل وأهل المنطقة، والحريصون على دولتهم، إذ لا يبني الدولة ويحميها غير أهلها وأبنهائها. وقد استشهدت بالأمثلة التي تؤكد رفض الناس للسيطرة الأجنبية على شؤون الدولة.

راح الشعراء يدعمون الشعوب في مواجهة الظلم والقهر والفساد. وكان الشاعر العظيم مصطفى وهبي التل (عرار) وجهاً بارزاً من وجوه الشعر الأردني حيث عاش حياته متمرداً ومسانداً لثورة الشعب ضد القهر والفساد. وقد اعتبرت قصائدهُ صورة لموقف غاضب، ومتنفساً لثورته النفسية على النظام كله.

ولقد ظهر عنصر القيادة والتميز لدى الأمير عبدالله بن الحسين في إثراء الزاوية الوطنية ببعض قصائده التي يدعو من خلالها إلى وحدة الأمة. حيث دعا بصورة واضحة إلى دور الوحدة في رفعة ونهضة الأمة.

وكان الفصل الثالث مداراً للحديث عن الشعر الوجداني حيث بينت أن شعراء الأردن لديهم مشاعر رقيقة وحساسة ويتأثرون بالواقع وبالقضايا التي تمرُّ بها الدولة الأردنية، ويتأثرون ويتفاعلون مع قضايا الأمة العربية كما بينت الأسباب التي أدت إلى نمو الشعر الوجداني في الأردن وهي نفسها تلك العوامل التي ساعدت على ظهوره في الدول العربية المجاورة من تعرض للظلم والقمع والفقر الناتج عن الاحتلال.

ولقد أبدع شعراء الأردن في موضوعات عدّة ومن أبرزها على الإطلاق وصفهم للطبيعة المحيطة بهم، وكذلك إبداعهم في الغزل العذري ووصف الخمر حيث احتلت تلك الموضوعات الشعرية جانباً كبيراً في شعرهم. ونجد من الشعراء من تميز في مجال الغزل والوجدان، وقد قدم الشعراء صوراً شعرية إبداعية عكست إبداعاً سابقاً للبيئة الاجتماعية التي تحيط بهم. وقد اتخد شعراء الأردن من الطبيعة مكاناً يبدعون فيه ويظهرون قدراتهم الشعرية العالية عندما صنعوا منها ملاذاً لهم عندما حاولوا السيطرة على الأمراض الاجتماعية المتفشية.

لقد كان البعض من شعراء الأردن قد أغرموا بالخمرة، فتحدثوا عنها بالتفصيل، وجعلوا مجلس الشراب مقترناً بالغناء في كثير من الأحيان. ومن الأمثلة على ذلك الشاعر مصطفى وهبي التل (عرار) الذي كان يعيش في مجتمع ذي ظروف اجتماعية وسياسية قلقة ومضطربة، فإنه يصرّح تصريحاً بأن الخمرة التي كان يشربها ما كانت إلا هروباً من آلامه وأحزانه الناتجة عن آلام وأحزان مجتمعه وشعبه فهي خمرة التسلي والخلاص.

بينت في دراستي حجم المعاناة الحقيقية التي كانت تعاني منها الطبقة العامة من حرمان وعوز، إلى جانب النظام الاقتصادي الذي يسبب الشعور بالظلم. كان سبباً في سخط الشعراء وغضبهم .

وتناولت في الفصل الرابع بعض القضايا الاجتماعية التي تعاني منها الشعوب وكيف ساهم شعراء الأردن في علاجها من خلال نماذجهم الشعرية فكانوا أطباء يتحسسون مواطن الألم عند المواطن الذي كان همهم الأول. لقد عمل الشعر الاجتماعي على إصلاح الأوضاع نظراً لما بثه من وعي اجتماعي في نفوس الناس إذ لفت الشعراء الانتباه إلى الأوضاع المزرية التي تعاني منها بعض فئات المجتمع.

وانتقلت إلى الحديث عن الفقر والفساد، فقد كان الشعراء في الأردن رمزاً للتحدي والعنفوان ضد المتطفلين واللصوص والمنافقين في طبقات المجتمع المختلفة وقد حارب الشعراء الطمع والفساد ووقفوا إلى جانب الفقراء والضعفاء. أما قضية المرأة فإنني وجدت المرأة في فترة الدراسة كانت تعاني من الظلم والقهر وعدم الاحترام في جوانب كثيرة في حياتها حيث كانت تعاني من الكبت والظلم وعدم القدرة على التعبير عن رأيها حتى في ما أباحه الشرع لها. ولقد أبرز الشعراء قضايا حساسة في المجتمع وهي قضايا الشرف، والعرض وبين الأعمال السيئة التي يقوم بها بعض المتربصين بالفتيات حيث يوقع بهن ويتركهن يواجهن مصيرهن أمام مجتمع لا يرحم.

وختمت هذا الفصل بالحديث عن قضايا اجتماعية متفرقة ومن أبرزها تركيز الشعراء على العيوب الاجتماعية ومنها الكذب والنفاق وأنها هي نفسها سبب تخلف الأمم وضياعها ،ومن العيوب الاجتماعية التي تناولها الشعراء عدم الانخداع والحكم على الأشخاص من خلال أشكالهم. وأخيراً فعسى أن يكون هذا البحث إسهاماً في دراسة التراث الشعري الأردني واستجلاءً لبعض جوانب الحياة الأدبية في الأردن.

المصادر والمراجع

الدواوين

1- ابراهيم طوقان، ديوان ابراهيم طوقان، دار الشرق الجديد، بيروت، ط 1، 1955م

2- حسني فريز، ديوان هياكل الحب، مطبعة الشرق- عمان، ط1، 1986.

3- عبد السلام هاشم حافظ، ديوان أغنيات الدم والسلام، مكتبة الخانجي، 1970م.

- ديوان عبير الشرق، دار الثقافة العربية، بيروت.
- ديوان ترانيم الصباح

4- عبدالمنعم الرفاعي، ديوان المسافر، مطابع دار الشعب – عمان- الأردن.

5- عمر أبي ريشة، ديوان الشاعر عمر أبي ريشة، دار العودة، بيروت، 1998م.

6- عيسى الناعوري، ديوان أناشيد أخرى، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان، ط1، 1983.

- ديوان أناشيدي، منشورات دار الرائد العربي – حماة.

7- محمد حسن عواد، ديوان نحو كيان جديد، مطبعة نهضة مصربالفجالة بالقاهرة، ط1 1978م

8- مصطفى وهبي التل، ديوان عشيات وادي اليابس، الأهلية للنشر والتوزيع- عمان- الأردن، 1993م.

- عشيات وادي اليابس، تحقيق زياد الزعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1998م.
- دواوين الشعر العربي على مر العصور. مصطفى وهبي التل. رقم القصيدة 64443

9- نديم الملاح، ديوان نديم الملاح، منشورات دائرة الثقافة والفنون- عمان، 1984م.

10- نزار قباني، ديوان الرسم بالكلمات، منشورات نزار قباني، بيروت،ط20 ، 1997م.

- مفكرة عاشق دمشقي، منشورات نزار قباني، ط2، بيروت، 1980م.
- قصيدة بلقيس، منشورات نزار قباني، 2002م.

11- وديع البستاني، ديوان الفلسطينيات، دار الطباعة والنشر الشرقية، بيروت، 1946م

المراجع العربية

12- أحمد أبومطر، عرار الشاعر اللامنتمي، 1977م.

13- أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، 1998م.

14- البدوي الملثم، عرار شاعر الأردن، وزارة الثقافة الأردنية، 2011م.

15- الدار المتحدة للنشر، الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين، ط2، 1979م.

16- بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، مطابع دار صادر، ط2، 1978م.

17- تركي المغيض، الحركة الشعرية في بلاط الملك عبدالله، منشورات وزارة الثقافة والشباب- الأردن، 1980م.

18- تيسير ظبيان، الملك عبد الله كما عرفته، المطبعة الوطنية ومكتبتها-عمان، 1967م.

19- حسن مبيضين، وفوزي الخطبا، أعلام الشعر الأدني (إبراهيم مبيضين) حياته وشعره، مطابع الإيمان- عمان، 1986م.

20- حيا سليم رواشده، الحركة الأدبية في بلاد الشام الجنوبية، وزارة الثقافة- عمان، ط1، 1996م.

21- خليفة الوقيان، القضية العربية في الشعر الكويتي، الكويت، 1977م.

22- خير الدين الزركلي، عامان في عمان في عاصمة شرق الأردن 1921-1923، الأهلية للنشر والتوزيع، 2009م.

23- سحبان خليفات، رفعت الصليبي قصائد ومقالات، منشورات دائرة الثقافة والفنون- عمان، 1978م.

24- سعيد التل، الأردن وفلسطين; وجهة نظر عربية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2010م.

25- سليمان الأزرعي، مواقف ودراسات في الشعر الأردني الحديث، مشنورات دائرة اتحاد الكتاب العرب، 1994.

26- سليمان موسى، تاسيس الامارة الاردنية: ١٩٢١-١٩٢٥، مكتبة المحتسب،, 1989م.

- الثورة العربية الكبرى الحرب في الأردن: 1917-1918م، مطبعة القوات المسلحة الأردنية، ط1، 1976م.

27- سمير قطامي، الحركة الأدبية في شرق الأردن 1948-1967م. وزارة الثقافة والتراث القومي- عمان، ط1، 1989م.
28- شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر, 1977م.
29- صالح قرقز، المعاني الوطنية عند شعراء الإمارة الوطنية، دار الكتاب الثقافي، 2004م.
30- عبد الرحمن ياغي، حياة الأدب الفلسطيني الحديث حتى النكبة، الاردن - الجامعة الاردنية، 1997م.
31- عبدالله رضوان، أدباء أردنيون، دراسات في الأدب الحديث، دار الينابيع للنشر- عمان- الأردن، 1996م.
32- عبدالله عبد الجبار، التيارات الأدبية، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العالية،، 1959م.
33- علي محافظة، تاريخ الأردن المعاصر: عهد الامارة، مركز الكتب الأردني,, 1989م.
34- عمر المدني، الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين، بيروت، 1985م.
35- عيسى الناعوري، الحركة الشعرية في الضفة الشرقية، وزارة الثقافة والشباب، مكتبة محمود الغول، 1980م.
36- ع.فاطمة الزهراء :نزار قباني من روائع قصائده .
37- فوزي عطوي، أحمد شوقي أمير الشعراء، دار صعب، بيروت، 1978م.
38- فيليب حتّي: تاريخ العرب المطول، ط3، ج2، 1961م.
39- قدري قلعجي: جيل الفداء قصة الثورة الكبرى ونهضة العرب، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط1، 1967م.
40- كمال فحماوي، مصطفى وهبي التل حياته وشعره.
41- محمد ابراهيم حور، فلسطين في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج، 1987م.
42- محمد أبو صوفه، من أعلام الفكر والأدب، مكتبة الأقصى- عمان، 1983م.
43- محمد أحمد موسى، عبد المنعم الرفاعي حياته وشعره، دائرة الثقافة والفنون، عمان- الأردن، 1987م.
44- محمد سعيد المسلم، شفق الأحلام، دار الكتب، 1955م.

45- محمد محافظة، امارة شرق الأردن، دار الفرقان، عمان- الأردن، ط1، 1990م.
46- محمد محمد شراب، شعراء في المملكة العربية السعودية ، دار المأمون ودار قتيبة ، دمشق، 2006م.
47- محمود مهيدات، اتجاهات شعراء شمال الأردن، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 1985م.
48- مصطفى إبراهيم حسين، وأدباء سعوديون، دار الرفاعي، الرياض، 1414هـ.
49- منيب الماضي وسليمان موسى، تاريخ الأردن، ط1، 1959م.
50- هاشم ياغي، ثقافتنا في خمسين عاما، - فصل الشعر- دائرة الثقافة والفنون عمان، 1972م.
51- يعقوب العودات، عرار شاعر الأردن.
52- يوسف عز الدين، في الأدب العربي الحديث، دار العلوم، 1981م.

المعاجم

53- صائب عبد الحميد، معجم مؤرخي الشيعة، مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي، 2004م.
54- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مصر 1993م.
55- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،المجلد 4، 1995م.

المراجع الأجنبية:

56- Suleiman Mousa, Cameos. Jordan Arab Nationalism, Published by the ministry of culture Amman, 1997.

الدوريات

57- جريدة الجزيرة، عدد 948، 19/كانون الثاني/1940م.
- عدد 1031، 1/شباط/1941م.
- عدد 1034، 15/آذار/1941م.
- عدد، 1203، 8 كانون أول، 1947م.

58- جريدة الرأي، تاريخ 1990/8/10،

59- جريدة الشرق العربي، عدد (177)، 1927

60- جريدة صوت الحجاز، عدد 656، صفر 1354هـ

61- مجلة عرار الثقافية، مديرية ثقافة اربد، عدد29، 1997م.

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	3
شكر وتقدير	4
المقدمة	5
الفصل الأول: البيئة العربية و الأردنية لحركة الشعر	13
أ- الوضع السياسي في الأردن و المنطقة العربية .	14
ب- الحركة الشعرية في البيئات العربية .	20
. ج- دور الشاعر في الإصلاح .	41
الفصل الثاني: الشعر الوطني في الأردن	51
أ- شعر الجهاد والدعوة لحماية البلاد	53
ب. حب الديار ووصف حالها	76
ج. الدعوة إلى الوحدة ولم الشمل	94
الفصل الثالث: الشـــعر الوجـــــداني	104
وصف الطبيعة	107

ب. وصف الخمرة	116
ج. الغزل العذري	125
الفصل الرابع :الشـــــعر الاجتـماعي	135
أ ـ الفقـــر والفســـاد.	138
ب ـ قضـــية المـــرأة	147
ج. قضايا اجتماعية متفرقة	153
الخاتمة	165
المصادر والمراجع	170